٢٠

مجلة
روايات أحلام

فراشة المحبة

موعدنا الأبد

منتديات ليلاس الثقافية

مجلة روايات أحلام

فراشة المحبة

موعدنا الأبد

جاكلين فتاة شابة رفضت الطرق الذي وضعه والدها حول عنقها وخطت خطوة كبيرة نحو المجهول بحثاً عن جديد.

لكن المجهول كان رجلاً غريب الأطوار حبسها في بيته ومنعها من الخروج. لماذا؟!! لا تدري.

جاكلين تساءلت كيف يمكن أن تقع في حب رجل كل ما تعرفه عنه أنه سيد إبليس؟

هل سيدوم حبها له عندما تكتشف هويته، وأنه واقع في حب فتاة مائت منذ زمن؟ وما زال يغني لها: فتاة الخريف لو تدري أنها رحلها حي...

لبنان ١٥٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٣ ج.	ليبيا ١ د.
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ٩٠٠ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عُمان ٦٠٠ بي.	العراق

١ ـ سيد إبليس

كان الوقت ظهراً عندما استيقظت جاكلين من نوم غرقت فيه حالما وضعت رأسها على وسادتها بسبب إرهاق اليوم السابق.

عندما حاولت تحريك جسمها بدا لها أنه كله يؤلمها... في أماكن لم تتوقع أن تصاب فيها بألم. إنها دون شك في حالة صحية غير صحيحة إذ كيف تتعبها نزهة بسيطة فوق دراجة هوائية... لكن النزهة في الواقع دامت عدة أميال كانت أكثر مما اعتادت قطعها منذ سنوات...

www.liilas.com

فكرة ركوب دراجة على شواطىء خليج سانت لورانس، بدت لها وهي في مونتريال فكرة جيدة. لكنها الآن لم تعد واثقة من هذا، فلقد مضت سنوات منذ أن قادت دراجة هوائية.

والدها اصيب بالهلع عندما سمعها تقول إنها تنوي قضاء بضعة أيام في إجازة، مدعياً أنها لا تستطيع مغادرة مونتريال وموعد عرسها بعد ثمانية أسابيع... انه موعد زفافها من رالف وست. شريك والدها في مؤسسة الاستثمارات العامة.

رالف وست، من جيل والدها. في الخامسة والأربعين. تزوج مرتين سابقاً... وقد تعجبت جاكلين دوماً بسبب تركها

الأمور تصل إلى هذا الحد... أربعة أشهر من الخطوبة، وبضعة أسابيع حتى الزواج. هي لا تنكر اعجابها برالف، لكنها ليست واثقة من رغبتها في الزواج منه.

نعم هو جذاب، طويل، نحيل، اسمر، ذو عينين زرقاوين قاتمتين، ولكنها لم تمنع نفسها من التساؤل عما فعل حتى طلبت منه زوجته الثانية الطلاق.

انتشلت جاكلين نفسها من هذه الأفكار المكدرة فنظرت فيما حولها تمتع البصر بالمنظر الخلاّب... لقد تركت الخط الساحلي الآن وها هي تتسلق مرتفعاً يوصلها إلى نهر سانت لورنس. قريباً ستصل لتطل على أروع منظر اسطوري للمدينة، كويبك، المعلقة فوق النهر على ارتفاع لا يقل عن المئة متر... ففي اعلى الجبل قلعة وقصر «فرونتناك». انها الآن تتمتع بحريتها الكاملة التى لم تتمتع بمثلها منذ سنوات.

النهر الضخم بدا وكأنه امتداد للمحيط الأطلسي، والاتوستراد العريض الضخم الذي أقيم على ضفة هذا النهر كان يقسم المدينة إلى قسمين.

ولأنها خرجت اصلاً متأخرة، وصلت متأخرة إلى حيث تقصد أعالي قلعة شامبلين، التي تطل على سهول ابراهام من جهة، وعلى تراس دوفين وكنيسة نوتردام من جهة أخرى... نعم، هي تحمل خيمة ومعدات التخييم الضرورية إلا أن المنطقة مليئة بالفنادق فقررت النزول في أحدها تلك الليلة على أن تكسب المعلومات التي تريدها عن القلعة في الصباح.

ها هي الآن قد صحت والساعة تجاوزت الحادية عشرة. فلم يبدُ لها أن لهذا اليوم جمال ودفء اليوم السابق، فهناك هواء بارد يهب وقليل من الضباب يرتفع من النهر مانعاً عنها المنظر الجميل الذي اجهدت نفسها لتراه.

قال لها الرجل المتوسط العمر، وهو يتناول منها مفتاحها:

ـ هل ستذهبين بعيداً اليوم؟

فابتسمت جاكلين:

ـ كنت أفكر في الوصول إلى قلعة شامبلين.

ـ لا انصحك بالذهاب إلى أي مكان في هذا الطقس.

ـ لا يبدو لي سيئاً جداً.

ـ لا يظهر الطقس سوءه عادة. لكن الضباب قد يزداد بسرعة. والرحلة إلى هناك طويلة، وهذا قد يجعلك تضيعين.

ـ اليس الطريق عريضاً مستقيماً؟

ـ أجل... انه مستقيم... لكن هناك طرقات تتفرع منه تقود إلى القرى، وقد تخطئين في سلك احداها.

ـ سأكون حذرة... لا تخف.

قلعة فرنتناك تقع على قمة تشرف على النهر كله. كتاب دليل السائح الذي حملته معها، يقول لها ان بناء القلعة يعود إلى القرن السابع عشر، وكان القائد الانكليزي الجنرال وولف واتباعه قد حسنوا فيها عندما احتلوها اواسط القرن الثامن عشر.

القلعة المشرفة على المنطقة كانت فيما مضى حصناً يحمي المنطقة التي كان يحتلها الفرنسيون من غزو التاج البريطاني. حالياً قررت جاكلين أن لا تلتقط صوراً للقلعة... ربما فيما بعد

وذلك لتجنب ظهور المطر المنهمر بشدة في الصورة. . . فقررت العودة إلى الفندق لتناول القهوة في الصالون، حتى يتوقف المطر.

لكنها في الواقع، لم تستطع فعل هذا، إلا إذا شاءت قطع المسافة سيراً. . . فإطار دراجتها الأمامي ثقب فجأة. . . ولم تعده أية كمية من الهواء إلى الانتفاخ. الضباب اختار تلك اللحظة بالذات ليشتد، فاستحال عليها أن ترى أكثر من بضع خطوات. لكن. . . عليها أن تسير. . . وبما أنها واثقة انها الآن أقرب إلى قلعة شامبلين منها إلى قلعة فرونتناك قررت أن تتجه إلى الأولى بدل الرجوع إلى حيث كانت.

لكن. . . ما هو الطريق الخاطىء الذي اجتازته، انها لا تدري. كل ما عرفته، ان سطح الطريق لم يعد ناعماً. فجثت على ركبتيها تستكشفه فإذا به ليس طريقاً، بل ممراً ترابياً وعراً لا تعرف مطلقاً إلى أين يقود.

حسناً. . . لن يجديها نفعاً الوقوف هنا توبخ نفسها على ما فعلت. . . هل تتابع سيرها أم تعود؟ الشيء الوحيد البارز في ذلك الممر يشير إلى أن آثار الحوافر عليه تقود إلى الأمام، لا إلى الوراء. . . لكن. . . أين سيقودها هذا الممر؟ لا تذكر انها شاهدت قرية في هذه الناحية.

متابعة الممر الوعر لم يكن صعباً. فعلى كلا جانبيه اشجار مرتفعة، تجعل من الصعب عليها الانحراف. ومع ذلك فقد احست عندما شاهدت نوراً أصفر انه سيغمى عليها من الراحة

بعد ساعة من التخبط على غير هدى، كادت تشك في انها سترى بشراً مرة ثانية.

قرع حاد على الباب لم يعط نتيجة. فقرعت مرة أخرى. . . لا رد. . . لكن يجب أن يكون هنا شخص ما. اتجهت إلى جانب الكوخ حيث يندفع من النافذة النور، فحاولت استراق النظر عبر الفتحة البسيطة في الستائر. واحست بالذعر لأن الستائر تحركت قليلاً وأطلت منها عينان خضراوان حقودتان جعلتاها تصرخ صرخة مرعبة مدوية.

سمعت صوتاً بارداً من ورائها يقول ببرود:

ـ ابليس ليس اكثر حماساً مني بشأن الجواسيس.

استدارت جاكلين لتواجه صاحب الصوت غير المرحب. كان يقف امامها والضباب يدور بشكل مخيف حوله. رجل طويل اسمر ثيابه كلها سوداء وشعره أيضاً يبدو كجناح الغراب، انه طويل أشعث. متوحش المنظر، إلا أن في توحشه وسامة لم تشاهدها في رجل قط.

ـ و. . . من انت؟

فالتوى فمه:

ـ انا سيد ابليس. . . ومن غيره؟

استيقظت جاكلين فوجدت نفسها ملقاة على أريكة، لم يحدث أن جلست على ما هو أقسى منها، ولم يحدث يوماً أن أغمي عليها. يا إلهي!. . . ذلك الرجل. . . سيد ابليس. . . ! أنزلت قدميها إلى الأرض لتجلس. . . فوجدت نفسها وجهاً لوجه معه.

انتشل بصره من التفرس العميق في النار... رجل في اواخر الثلاثين من عمره... لم تتغير ملامحه عند رؤية عينيها المذعورتين.

ـ اذن... قررت الاستيقاظ؟

وضع القط الأسود الذي ارعبها عند النافذة عن حجره ووقف ليسأل:

ـ من انت؟ وماذا تفعلين هنا؟

احست جاكلين بجفاف فمها. فقالت:

ـ اوه... انا من سألتك أولا.

رد بحدة، بصوت عميق أجش:

ـ قلت لك.

فضحكت باضطراب:

ـ بالطبع لم تفعل.

لقد تصرفت بغباء منذ قليل، فهذا الرجل رغم اسمراره المخيف ليس له صلة بالشيطان.

ـ هذا القط اسمه ابليس... اليس كذلك؟

ـ صحيح.

ـ وانت مالكه؟

اسنانه البيضاء لمعت في ابتسامة:

ـ لا أحد يملك «ابليس» انه دائماً في الكوخ... المحليون يؤمنون ان مالكته الأصلية المدعوة السيدة كرفتر، كانت ساحرة.

ـ هذا سخف!

ـ صحيح؟

فابتلعت جاكلين لعابها.

ـ انت تعلم انه سخيف!

ـ حقاً؟

ـ طبعاً! فما من بشري عاقل...

فارتفع حاجباه السوداوان، وقاطعها بصوت ناعم:

ـ من قال لك انني شخص عاقل...؟ بل من قال لك انني بشريّ؟

ـ توقف عن هذا المزاح المزعج! هل تمانع لو خلعت ثيابي المبللة؟

بدأ يحدق النظر بوقاحة في حنايا جسدها:

ـ اخلعي ما شئت... فصحبة النساء نادرة هنا.

احمر وجه جاكلين تحت نظراته. فتركت ثيابها حيث هي، راغبة في لف يديها حولها كي تحمي نفسها.

ـ لماذا تعيش في هذا المكان؟

فاحتدت نظراته:

ـ اعيش فيه لأنه يناسبني... والآن أعيد سؤالي، من أنت؟

ـ جاكلين... جاكلين برايس.

لم تستطع التوقف عن إمعان النظر فيه... فثمة ما هو مألوف فيه وكأنها تعرف شخصاً يشبهه، إنه دون هذه اللحية النامية منذ يومين أو ثلاثة قد يكون...

رفس بعنف احدى الحطبات إلى المدفأة:

ـ إلامَ تحدقين... حسناً!... اجيبي!

ـ أنا... أنت...

ـ حسناً؟

ـ تذكرت شخصاً ما.

تقدم منها، فأمسك ذراعها بقوة دفعت الألم إليها ثم شدها لتقف، فأصبح وجهه على بعد سنتمترات من وجهها:

ـ من؟... بمن اذكرك؟

ـ لست أدري...

بدأت تحس بأنها ستعود إلى الاغماء ثانية. فصرخت.

ـ لست أدري... أي نوع من الرجال انت كي تعاملني هكذا؟ اتركني... اتركني!

صرّ اسنانه بعنف وقال بصوت كأنه الفحيح:

ـ لن اتركك قبل ان تردي علي. بمن اذكرك؟

في هذه اللحظة ذكرها بابليس... بشرته الملتصقة بعظام وجهه، الظلال تحت عينيه الخضراوين. لكن هذا الشعر النامي على وجهه إنساني لا شيطاني...

ارتدت جاكلين خطوة إلى الوراء، فداست دون قصد على قائمة القط... التي امتدت منها مخالب غرزت بوحشية في كاحلها، يرافقها صياح القط ساخطاً قبل ان يبتعد هارباً إلى السلم الخشبي الموصل إلى الطابق العلوي.

فصاحت متأوهة من الألم:

ـ قطك يشاركك كرهك لي.

بدأ كاحلها يؤلمها، واحست بتدفق الدم إلى قدمها:

ـ هل لي ان اهتم بكاحلي؟

فأبعدها عنه:

ـ لمَ لا؟ وانت محقة، فابليس يعبر عن رأيه ورأيي. لا اريدك هنا آنسة برايس، لأي سبب كان.

جلست جاكلين ثانية على الأريكة القاسية... السجادة تحت قدميها رثة كسائر اثاث الكوخ. لكن ثياب الرجل فاخرة... انه لغز غامض... رجل غريب الأطوار يريدها أن تخرج من حياته بأسرع مما دخلتها.

أصبح الخدش في كاحلها أحمر ومتورماً يتدفق منه الدم... فأخرجت منديلاً لإيقاف النزف. فتحرر شعرها الأشقر الطويل من ياقة «الانوراك» وانسدل فوق وجهها:

ـ هل انجلى الضباب؟

نظر إليها بعينين متفرستين ضيقتين:

ـ لا.

ـ كيف تتوقع ان اخرج ثانية.

ردت شعرها خلف اذنيها. فقال:

ـ لم أقل هذا بالضبط... بل قلت انني لا أريدك هنا.

ـ لن اجد طريق العودة.

ـ لقد وجدتها فوصلت إلى كوخي وهذا يعني أنك قادرة على العودة على الطريق ذاتها.

واستدار لينظر إلى النار بكآبة. فأخذت جاكلين تقدح زناد فكرها لتتذكر أين رأت هذا الوجه من قبل... ربما ليس هذا الوجه تماماً... فهذا الغريب نحيل جداً، تقاسيم وجهه خشنة، شعره طويل غير مسرّح...

أجفلت بحدة عندما عادت العينان الخضراوان للتحديق

فيها:

ـ حسناً؟

ـ أنا لم أجد طريقي إلى كوخك. لقد ضعت... هل لديك بعض المطهرات لأنظف هذا؟ فقطك جرحني.

ـ وهذا ما سأفعله إن بقيت هنا... فابقي اذا أردت وتحملي النتائج.

فارتجفت:

ـ النتائج؟

ـ لدي هنا غرفة نوم واحدة.

ـ وماذا في هذا؟ استطيع النوم هنا على الأريكة. ولن ازعجك... سيد... حقاً لن أفعل... لو سمحت لي بالبقاء حتى زوال الضباب...

المعاني الظاهرة في عينيه زادت أعصابها توتراً.

ـ ذلك قد يستغرق أياماً في بعض الأحيان.

ـ أياماً؟

ـ صحيح... هل يعجبك البقاء معي أياماً حيث لن تجدي من يساعدك؟

رمت جاكلين رأسها إلى الوراء متحدية:

ـ وهل سأحتاج إلى مساعدة؟

ركز عينيه على شعرها الأشقر وهو يرد:

ـ قد تحتاجينها.

فأحست بانقطاع أنفاسها بشكل غريب:

ـ لحماية نفسي منك؟

ـ أجل... مني... قلت ان النساء نادرات هنا... فمنذ سنة لم تصل امرأة إلى حدود منزلي فإذا كنت تشكين في رجولتي...

وتقدم نحوها ليجذبها دون رحمة لتقف ثم أحنى رأسه ليقض عليها.

بعد مقاومتها الأولية، أحست بأنها تضعف، وأحست بيديه تمتدان تحت الأنوراك، فأجفلت مذعورة، وارتدت عنه متراجعة بعنف، فغدا وجهه اسود شرير:

ـ ما الأمر آنسة برايس؟ ظننت امرأة مثلك تفعل أي شيء للحصول على قصة.

ردت مذهولة:

ـ امرأة مثلي؟ وأية قصة؟

ـ اوه... هيا... آنسة برايس! تعرفين تماماً ما أعني!

ـ لماذا تكرر اسمي هكذا وكأنك توجه لي اتهاماً؟

ـ لأنني فعلا أتهمك... تباً لك.

بدا عليه الغضب الأعمى الآن، وأصبحت عيناه كقطعتي جليد.

ـ أنا أتهمك بالمجيء إلى هنا... للتجسس علي... مستخدمة كل وسائل الخداع، لتجعليني أتكلم... عن...

رفعت يدها بهدوء قائلة:

ـ أرجوك. لا تقل المزيد. انت مخطىء. أنا لا أعرفك حتى. فكيف أعرف ما تخفيه.

ـ أنا لا أخفي شيئاً! لقد سئمت مراسلي الصحف حتى

الموت... مزعجون، يتجسسون، يستمرون في محاولة قلب الحقائق في كل ما حدث.

بدا الحزن على وجهه، فهزت جاكلين رأسها:

ـ لكنني لست مراسلة! ما الذي أعطاك هذا الانطباع؟

ـ تمثيلك الرديء. كان بإمكانك محاولة استخدام اسم مبتكر أكثر.

ـ لكن هذا هو اسمي واستطيع اثبات هذا لك!

تحركت نحو الباب، فأسرعت يداه لتلتقطا خصرها.

ـ إلى أين تظنين نفسك ذاهبة؟

ـ إلى الحقيبة المعلقة في دراجتي... أوراقي الثبوتية فيها.

ـ أراهنك على هذا... كذلك أراهن أنك مخادعة. ما الأمر آنسة برايس... هل وجدت أنك لست قادرة على المضي في خداعك. وأن إذاعة مكان وجودي يكفي؟

ـ لست أدري ما تعني... امضي في خداعي في ماذا؟

ـ اوه أنا واثق أن الأمر بدا لك منطقياً عندما كنت في مونتريال. ولا بد أن أحداً نقدك مالاً لتبحثي عني... فقررت المجيء إلى هذا المكان لتلتقطي قصة خاصة بك... حرفياً.

ـ حرفياً؟

ارتجفت من اشتداد قبضته حولها... فهز رأسه ساخراً:

ـ أجل... قصتك الحرفية... التي ستكتبينها في فراشي.

ـ في... ماذا...؟ يا إلهي! يا لجرأتك!

ـ نعم أنا جريء جداً... وفي هذه اللحظة تظهر جرأتي بوضوح... اختيار صحيفتك موفق جاكلين... أظن أن اسمك

هذا صحيح على الأقل.

ـ بل اسمي كله حقيقي.

ـ لقد كشفت أمرك جاكلين. كشفتُه حينما رأيت شعرك وعينيك الواسعتين البريئتين. لذا من الأفضل التوقف عن التمثيل. من يعلم، لو عرفت لعب أوراقك جيداً فقد اعطيك تلك القصة...

مد يده يداعب شعرها:

ـ أجل... رئيس تحرير صحيفتك يحسن الاختيار... كان لدي دوماً ضعف تجاه الشقراوات.

مرة أخرى شد خصرها بقوة إليه، ثم رفع يديه ليضمها بقوة، حتى التصق جسدها كله بجسده.

في تلك اللحظة تغير كل شيء في حياة جاكلين فجأة أصبح كل شيء واضحاً أمامها... التصاقها به أبعدها عن التفكير بالزواج من رالف وست... لن تتزوج ذلك الرجل بعد الآن... غريب... رجل بارد قاس يدفعه غيظ لا تدري ما هو... يجعلها ملكاً له بلمسته، كأنّ يثيرها كما لم يفعل رجل آخر. حتى خطيبها رالف. كائناً من يكون... مهما كان قد فعل ليلاحق... فقد أغرمت به في لحظات.

في لحظات أخرى، أصبحت حرة. عيناه تلمعان بانتصار...

ـ هل غيرت رأيك؟

ما زالت مصابة بدوار من جراء اكتشافها الأخير. من المؤكد أن مثل هذا لا يحدث عادة في الحياة الطبيعية. من

المستحيل الوقوع في حب غريب لا تعرف حتى اسمه! ربما ما يحدث لها هو خيالي... ربما هي مصابة بالحمى بسبب ما تعرّضت إليه من بلل.

لكن صوته تحداها:

ـ حسناً... هل غيرت رأيك؟

ـ أنا... لا!

ـ لكن جسدك لم يقل لا... الآن. بل أظنك نادراً ما تقولين لا.

تدفق الدم إلى وجنتي جاكلين، وظهر الامتعاض في عينيها.

ـ أنت... أيها...

ـ في أية صفحة فضائح من الصحيفة تعملين؟

ـ لكنني...

ـ في أية صفحة؟ وأية صحيفة؟

شحب وجهها وهو يعدد الصحف المشهورة بنشر الفضائح، إنها تعلم أن مثل هذه الصحف رهيبة فعلاً في نشر الفضائح، تبحث دائماً عن اخطاء الناس وبؤسهم لتخلق منها قصة.

قال معذبها باشمئزاز:

ـ يا إلهي! ما أقرف هذا! ألا يمانع في أن تستخدمي جسدك وعقلك للحصول على قصة؟

ـ هو؟

مد يده إلى قلادتها وشدها ليكشف الخاتم الماسي المعلق فيها، ذاك الخاتم الذي قررت بالأمس فقط تعليقه في القلادة

بعد أربعة أشهر من وجوده في اصبعها... إنه خاتم خطوبتها.

تابع كلامه:

ـ لقد اكتشفت هذا خلال... التصاقنا منذ لحظات. وأنا أكرر: ألا يمانع إن نمت مع أي كان؟

احمر وجه جاكلين وهي تذكر الموضع الذي كانت يده تتجول عليه عندما اكتشف وجود الخاتم. لكنها صرفت هذه الأفكار بسرعة وأجابت بحدة:

ـ ليس هناك ما يدعو إلى أن يمانع... انني هنا في إجازة.

ـ اوه... صحيح؟

ـ أجل.

ـ وهل أنت في إجازة منه، كذلك؟

ـ أنا وحدي... إذا كان هذا ما تقصده.

سرعان ما ندمت على ما قالت، فهذه المعلومات تجعلها عرضة للخطر.

فقال بسخرية:

ـ لم يكن هذا ما قصدته... لكن شكراً على المعلومات.

ـ ماذا تعني إذن؟

ـ أعني هل من عادتك نسيان خطبتك عندما يحلو لك. أو عندما يروق لك رجل آخر؟

زداد احمرار وجه جاكلين:

ـ أنت لست ممن «يروق لي»!

يا لوقاحة وعجرفة هذا الرجل! شكراً لله أن لحظة الجنون قد انتهت تاركة فقط اشمئزازها من تجاوبها معه، ونسيانها كل

تعقلها.

فرفع حاجبيه عجباً:

ـ ولا حتى مهنياً؟

فتنهدت:

ـ حسنٌ... بما أنني لا أعرف حتى... لا استطيع أن أقول.

فاسود وجهه، وقال بحنق:

ـ قلت لك دعك من تمثيليتك!

ـ يؤسفني أن أجرح غرورك. لكنني حقاً لا أملك فكرة عن هويتك. هل أنت لص مصارف، أو شيء من هذا القبيل؟

ـ نعم شيء من هذا القبيل.

ـ حسناً سيد... كائناً من تكون... هل لديك بعض المطهرات لأنظف جرح كاحلي؟ لقد بدأ يؤلمني الآن. فقد لا تكون مخالب ذلك الحيوان نظيفة.

ـ ابليس نظيف... كل القطط نظيفة.

ـ وإن يكن...

استدار بنفاذ صبر على عقبيه، قاصداً باباً يشبه باب المطبخ. فعرض الباب وطوله لا يتسعان لمرور جسده، ثم عاد ليعطيها انبوباً مطهراً.

تناولته بهدوء:

ـ شكراً لك.

بينما كانت تضع المرهم على الجرح. شعرت به يراقبها. فلما انتهت أعادت إليه الأنبوب... ثم سألته متوترة بعد

إدراكها فجأة أن عبارة «شيء من هذا القبيل» قد تعني مجرماً أو قتلاً، أو مغتصباً:

ـ هل استطيع الانصراف الآن؟

ـ لو انصرفت فإلى أين؟

ـ أنا... لدي خيمة... استطيع نصبها في مكان ما.

ـ أنا على استعداد لاعطائك براءة الشك في الوقت الحاضر. بإمكانك قضاء الليل في الكوخ.

ـ لكنك قلت إن لا مكان لي فيه.

ـ قلت انه ليس لدي سوى سرير واحد.

ـ اوه...!

ـ هل لديك كيس نوم كذلك في ذلك «الجراب» الذي لا تعر له؟

ـ أجل.

ـ إذن يمكنك مشاطرتي الفراش... داخل كيس نومك الواقي. بالطبع.

ـ اوه... لا... أنا... الأفضل أن أنام على الأريكة إن كنت لا تمانع.

ـ بل أمانع. لن أقبل أن ينام ضيفي على أريكة.

ـ ألا يمكنك إذن...

ـ لا... لا يمكنني...! أول شيء الأريكة ليست مديدة لتسع لشخص ينام عليها، ثم أن السرير سريري... ولست مستعداً للتخلي عنه لشخص لم ادعه لزيارتي حتى.

ـ قلت لك إنني سأذهب...

ـ لن اسمح حتى لكلب بالخروج في طقس كهذا، مع أنني أعتبر مراسلي الصحف أحط مخلوقات الله... لكنني لا أثق بأي منهم، ولا أثق بك أنت أيضاً. لذا ستمضين الليلة معي... حيث أبقيك تحت ناظري.

ـ تب... تبقيني تحت ناظريك؟

ـ لست واثقاً منك آنسة برايس. لذا لن أتركك هنا حيث يمكنك التجسس.

ـ لن أتجسس. ولما أزعجتك لولا ضياعي. ولولا هطول المطر خارجاً.

ـ أيمكنك أن تطبخي؟

ـ أطبخ؟

ـ أجل... قبل ان اجيء إلى هذا المكان لم أجد ما يدعوني إلى تعلم الطهو. لكن منذ وصولي، كان علي التعلم... حتى ابليس لم يلق محاولات طبخي السابقة.

ـ أتريدني أن أطبخ لك وجبة طعام؟

ـ هذه هي الفكرة.

ـ ... أيها ال...

ـ لماذا؟ ألا تعرفين الطبخ انت كذلك؟

ـ بالطبع أعرف... لكن...

ـ جيد... ستجدين ما يلزم في المطبخ.

جلس على مقعد قرب النار، ماداً ساقيه أمامه. فسألته:

ـ هل تتوقع مني حقاً أن أطبخ لك؟

أبعد بصره عن النار:

ـ هل أطلب الكثير مقابل سقف يأويك؟

ـ حسناً... لا... حسناً.

وقفت على مضض لتدخل المطبخ بغضب، لكنه بعد لحظات فتح باب المطبخ، فقالت له:

ـ ما بك الآن... هل جئت لتتأكد انني لن أسمم طعامك؟ ليس هناك ما استطيع فعله مع البيض واللحم المقدد. يمكنك انت تحضير وجبتك.

ـ ربما... لكن بوجود امرأة، لا أرى سبباً يدفعني إلى الطهو.

ـ آه... هكذا إذن... أنت تؤمن بأن مكان المرأة هو المطبخ.

فرد ساخراً:

ـ او غرفة النوم... لكن هذا يمكن تأجيله الآن. لقد جئت لأقول لك إنني أدخلت لك «جراب الحاوي» المعلق على الدراجة لئلا تفكري في التسلل من الباب الخلفي.

ـ لكنني لم أفكر فيه... فأنا جائعة أيضاً.

فسأل بسخرية وهو ينظر إلى صدرها يعلو ويهبط:

ـ للطعام أم للحب؟

ردت بغضب قبل أن تستدير مبتعدة عنه:

ـ للطعام.

ـ واأسفاه... كان بإمكاني تناسي الطعام كي اشبع جوعي الآخر. فسنة هي مدة طويلة.

ردت بحنق وحدة:

ـ لرجل مثلك، أنا واثقة من هذا.

أطبقت اصابعه على معصمها، فأدار وجهها إليه، ليصبحا وجهاً لوجه. بشكل قريب جداً في المطبخ الضيق ذي الإنارة الخفيفة.

ـ رجل مثلي؟

ـ حسناً... أنت... رجل نشيط... وفي هذه اللحظات مليء بالنشاط. هل لك الآن ان تتركني أكمل إعداد الطعام؟

ـ هيا... تابعي... لعلك تعذرينني على ملامستي إياك دوماً.

تم العشاء بهدوء... جاكلين غرقت في أفكارها، ومضيفها على ما يبدو غرق أيضاً في أفكاره. أقبل «ابليس» في منتصف الوجبة ليجلس على كرسي ثالث حول الطاولة القديمة منتظراً بصبر، مراقباً بعينيه الخضراوين كل لقمة تدخل فميهما.

ربت المضيف على رأس الهر، وداعبه بين اذنيه، فتصاعد منه هرير أجش...

ـ بالطبع لديه طعامه الخاص، لكنه يفضل طعامنا... أنت بشري تقريباً يا ولد...

كان هذا القط الأسود يخيف جاكلين. لا بسبب حجمه، فهو قط صغير بالنسبة لأحجام القطط الأخرى. بل بسبب السمّ الحقود الذي يطل من عينيه الخضراوين كلما نظر إليها. وكأنها نظرة غيرة. قال لها الرجل وكأنه احس بتعبها:

ـ لقد وضعت أغراضك فوق.

فحاولت التحدث عن شيء آخر:

ـ دراجتي... إطارها مثقوب.

ـ سأراها في الصباح هذا إذا صحا الطقس.

ـ هل نبعد عن الطريق كثيراً هنا؟

ـ هل تفكرين في السير؟

ـ إذا لم تُصلَّح الدراجة... فسأضطر للسير.

ـ نبعد أربعة كيلومترات عن الطريق الرئيسية.

فشهقت:

ـ فقط؟ لقد استغرقني السير عليها ساعات!

ـ وهذا ما أرهقك!

وقف فجأة:

ـ حان الآن وقت النوم.

ملأها كلامه ذعراً:

ـ لا! أعني... أنا... أنا لست حقاً... تعبة.

ـ كاذبة! فجفناك يتساقطان وحدهما منذ فترة... هيا.

مد يده ليوقفها:

ـ نوم مريح سيفيدك.

هذا آخر ما سيكون لها، خاصة وهي ستقضي ليلها مع هذا الرجل. الذي أظهر لها، أكثر من مرة أن جمالها يعجبه... وعلّل إعجابه ذاك إلى ضعفه تجاه الشقراوات. وهي الآن لا تملك ما يضمن لها عدم تعرضه لها بالغزل أو ما شابه كما لا تملك ضماناً ذاتياً يجعلها لا تستسلم له إن حاول شيئاً ما.

ـ لا أحس بالنعاس بعد. اذهب انت، وسأنضم إليك.

فانحنى ليحملها بين ذراعيه.

ـ لا تخافي سيدتي الصغيرة. قد تكونين في مطلق الأحوال مجرد متنزهة بريئة تمضي اجازتها، ثم يمكن أن تكوني صحافية، إلى أن أقرر أيهما أنت، فأينما أذهب تذهبين معي. والعكس بالعكس.

ـ إلى أي مكان؟

تعلقت ذراعاها باختيارهما حول عنقه. فأحست أكثر فأكثر بالجاذبية المغناطيسية التي يولدها قربه منها. لم تكن رائحته رائحة عطر رالف... بل رائحته كانت رائحة العرق. وهي رائحة الرجل. عيناه ضاقتا وهو ينظر إليها. وكأنه يحس باضطرابها. الكلمات التي صدرت عنها كانت نابعة من هذه المشاعر كلها، فخرجت بحدة:

ـ أعتقد أن في هذا الكوخ مكاناً استطيع الاغتسال فيه... وتغيير ملابسي لارتدي ثياب النوم؟

فابتسم لمزاحها العكر:

ـ اوه... طبعاً... لهذا ليس لدي سوى غرفة نوم واحدة، فقد حولت الأخرى إلى حمام.

ـ ما أجمل هذا!

أملت أن لا تكون سخريتها قد ذهبت سدى، لكنها عرفت من التواء فمه الجميل انها لم تضع. فرد عليها:

ـ يجب أن تكوني سعيدة لهذا. لأنك كنت ستجدين نفسك على قضيب حديدي فوق النار الآن.

فشهقت، وأمسكت لسانها... لقد أحست انها تدفعه بعيداً. حملها إلى فوق عبر سلم ضيق، ورفس باباً خشبياً. ثم

أنزلها فوق السرير، قبل أن يستدير لينير المصباح الصغير قرب السرير. ولم يفعل هذا الضوء الضئيل أي شيء لإنارة الغرفة، إذ بدا وجه مضيفها في عتمته أكثر شراً.

شهقت عندما لامست شيئاً دافئاً طويلاً يتكور فوق كيس نومها، فلما رأت مذعورة «ابليس» ... سارعت إلى التحرك مبتعدة بفزع لئلا يخدشها ثانية:

ـ هل لك أن تبعده قبل عودتي؟

ـ عودتك من أين؟

أخرجت بيجامتها من حقيبتها، وقالت دون اكتراث:

ـ سأدخل الحمام لكنني لا أرغب في مقاتلة هرك لأجد لي مكاناً في الفراش.

الله وحده يعلم أن الأمور ستكون سيئة جداً في نومها معه دون مقاتلة الهر.

ـ لا تقلقي... فأنا أفضلك أنت شريكة لفراشي في أي يوم وأية ليلة.

بعد وقت أجفلتها دقة عنيفة على باب الحمام.

ـ آنسة برايس... أنا كذلك أريد استخدام الحمام، إلا إذا كنت ترغبين في مشاركتي إياه، عليك الإسراع بالخروج.

كانت لاحظت أن لا قفل للباب. لذلك، ارتدت بيجامتها بسرعة وخرجت حيث وجدت مضيفها يقف خارج الباب... فبدا عليه المرح عندما رأى مظهرها الرجولي في البيجاما... لكنها رفعت رأسها ومرت به شامخة.

تسللت إلى الكيس الدافىء على حافة السرير... كان

الرجل قد أشعل النار في المدفأة قبل وصولها، فبدأت الحرارة تتعالى في الغرفة وكان يمكن أن يكون لهذه الحرارة وقع حميم على مشاعرها لولا مشاركتها هذا الرجل فراشاً واحداً.

احست بالتوتر وهو يقترب من السرير... ثم أحست بالفراش يتحرك قربها لأن صوته دنا من مسمعها:

- تصبحين على خير.

فأبقت رأسها مستديراً غير واثقة من مدى دنوه منها!

- اوه! تص... تصبح على... خير. سيد... هه... تصبح على خير!

وانطفأ الضوء. وبقي وهج النار وحده ينير العمة.

- تصبحين على خير... أتشعرين بالدفء؟

- أجل... شكراً لك.

- واأسفاه. كنت سأعرض عليك دفئاً آخر.

بدا وكأنه يمرح بتسلية جديدة، فأجابت بتصلب وكل جسدها متوتر.

- لن يكون هذا ضرورياً.

- لم أعتقد هذا... ثم لا تحاولي التجول الليلي... فقد لا يعجب هذا «ابليس».

- صحيح؟

- لا... إنه ينام عند الباب كما يفعل كل ليلة... ولن يسمح لأحد بالخروج باستثنائي أنا طبعاً.

- يبدو لي كلب حراسة لا قطاً.

- هذا ما كان عليه، على ما أعتقد لقد دربته السيدة كرفتر

على هذا الأساس... وهو الآن يحرسني كما كان يحرسها.

- في هذه الحالة لن أتحرك.

- اوه بل يمكنك التحرك، في اتجاهي فقط.

فردت بحزم لتنهي الكلام:

- تصبح على خير.

ودوت ضحكته الساخرة في اذنيها، فلم تستطع النوم، رغم ارهاقها. مع أن تنفس الرجل النائم قربها أعلمها أنه غط في النوم، فاستدارت ببطء لتواجهه... فهي معتادة النوم على جانبها الأيمن... كان مستلقياً على ظهره... صدره ذهبي بفعل انعكاس وهج النار عليه... قال إنه لا يخجل من جسده. وهذا ليس بغريب، فجسده ناعم طري وعضلاته قوية... فجأة سمعته يتمتم:

- هل شاهدت ما يكفي.

ورفع ساعده عن عينيه لينظر إليها، فاحمر خداها واتسعت عيناها خجلاً:

- أنا...

- يمكنني إبعاد الغطاء لتأخذي حريتك أكثر.

غمرها الحرج لأنه ضبطها تحدق فيه على هذا النحو، فجف اللون من وجهها بالسرعة التي تصاعد فيها... واتسعت عيناها لأنها فجأة اكتشفت انه استغل وجوده في الحمام ليحلق ذقنه... فانكشف شق عميق في منتصف ذقنه.

جلس فجأة لينحني فوقها. ليسألها بحدة ووحشية:

- ما الأمر؟ اخبريني ماذا دهاك؟

ابتلعت ريقها بصعوبة غير قادرة على التصديق فقد شاهدت هذا الرجل من قبل:

ـ أنا... أنا... أنت... أنت...

فتوترت كتفاه وظهر لمعان وحشي في عينيه:

ـ لقد عرفتني الآن؟ لقد عرفت من أنا؟

أجل... لقد عرفت. إنه بول هارفي النجم المغني المعروف. الذي يصنف مع علية القوم من الأغنياء في هذا العالم... اسطورة عالمه وزمنه. إنه الرجل الذي حطم سيارته وهو يقودها عندما قالت له صديقته الممثلة المشهورة ساليا ويلبي، انها ستتركه من أجل رجل آخر. يومها قالت الشائعات إنهما أرادا الموت معاً. كانت نية بول الأصلية أن يقتل ساليا ويلبي إذا لم يستطع استعادتها... لكنهما لم يموتا معاً... بل قتلت ساليا وحدها. وواجه بول هارفي حصاراً إعلامياً شكك في أن يكون الحادث وقع عمداً. فقد قالت ساليا ويلبي دوماً أن بول رجل متملك، لا يدع ما يملكه يخرج من يده... لكن بما أنه لم يكن هناك دليل يؤكد انه من حطم السيارة عمداً... جرت تبرئته من كل لوم.

بعد بضعة أسابيع... اختفى بول هارفي... وكأنه ما عاد على وجه الأرض...

وها هي الآن... جاكلين برايس... التقت به صدفة، في مكان ناء بعيد في ريف كندا، في كوخ مهلهل... التقت بالرجل المسؤول ربما عن خطف روح ساليا ويلبي عمداً؟

•••

٢ ـ أعمدة قلبها تنهار

مرت بضع دقائق وهي تحدق فيه، عاجزة عن تصديق ما تراه عيناها. بول هارفي رجل ترشح الجاذبية منه، قادر على إغواء أية امرأة، تشاهده أو تسمعه يغني... رجل تتعلق به الجماهير، وتدعوه «الملاك الفاتن». حفلاته تدر الملايين... [illegible] إلى جانبها في فراش واحد.

لكنها لا تعرف عنه إلا القليل... تعرف أنه انكليزي الأصل، هاجر إلى كندا وانتقل مراراً للغناء في اميركا وتعرف أنه في الآونة الأخيرة استقر في مونتريال وأن ساليا ويلبي كانت صديقته لستة أشهر قبل الحادثة التي قتلت فيها، وأنَّ لا أقارب له.

أمعنت جاكلين النظر في وجهه القوي القسمات، فإذا المرارة تطل من عينيه، وإذا بها تشعر أنه يحس بعقدة ذنب من شيء لم يرتكبه. فسألته بلهجة الواثقة:

ـ أنت لم تفعل ذلك.

فأجفل، وسألها بصوت منخفض خطير:

ـ ماذا قلت؟

ـ قلت...

www.liilas.com

ـ أعرف ما قلته... لكن ماذا عنيت؟

نظرت إليه بارتباك، فبدت عيناه كقطعتي جليد. قد لا يكون قادراً على القتل... لكنه على استعداد دائم للعنف:

ـ أعني... فقط... ذلك الحادث... أنت لم...

ـ لا... لم أفعل!

مقاطعته لها كانت متوحشة، كذلك الكلمات التي تلت:

ـ لكنني لست بحاجة لك لتقولي هذا. الموضوع غطته الصحف تماماً. وما من أحد أزعج نفسه ليعرف وجهة نظري فيما حدث، فلربما لم يثر هذا كل ذاك الاهتمام. هل قرر رئيس تحريرك أن استيضاح الأمر مني قد يكون حسناً أخيراً؟ أبَعْدَ سنة يريد حقا معرفة الحقيقة؟

ـ ولماذا لم تذكرها أمام أحد؟

كان يرافق سؤالها قناعة أنه مهما حدث في ذلك الحادث لم يكن غلطة بول هارفي...

ـ لأن ما من أحد سألني عن الحقيقة. وأنت قد ارتكبت أكبر غلطة في حياتك لتوك يا سيدتي.

ـ ما... ماذا تعني؟

فابتسم، ابتسامة قاسية:

ـ أعني أنني كنت سأتركك ترحلين في الصباح... لقد خدعت ببراءة نظراتك وبعينيك الخضراوين الواسعتين. أنت مراسلة مثالية، جاكلين برايس، لك شعر ووجه ملاك. وتعطين انطباعاً مخادعاً.

ـ أنا لست مراسلة سيد هارفي... أرجوك صدقني.

عندما تكلم بصوت منخفض وكأنما يوجهه إلى نفسه بقيت حشرته على حالها:

ـ من يعلم قد اعتاد وجودك فيعجبني...

ـ لكن... يجب أن أرحل في الغد.

ـ كنت سترحلين في الغد... لكن ليس الآن، ليس بعد أن عرفت هويتي. ولعلك الآن تريدين السعي إلى معرفة ما أفعل في هذا المكان.

أمسك الخاتم مرة أخرى:

ـ يجب أن يتعلم العيش بدونك فترة... ففي الوقت الحاضر حاجتي إليك أكبر من حاجته إليك.

ابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ ماذا تعني؟

ابتعد عنها يضحك بصوت منخفض:

ـ لا... ليس كما تظنين أنني أعني... ليس هكذا... لكن، أتريين... احب العيش هنا... ولست مستعداً للانتقال... لذا، في الوقت الحاضر ستبقين معي.

جلست في الفراش تنظر إليه بذهول:

ـ أبقى هنا؟ لا استطيع... سأتزوج بعد ثمانية أسابيع.

ـ صحيح؟ هذا مثير للاهتمام!

ـ ولماذا يثير الاهتمام؟

شكراً لله أن الغرفة مظلمة! فهذا الرجل ليس مهتماً إطلاقاً بسيره في الغرفة نصف عارٍ. نعم هي رأت رجالاً يرتدون أقل من هذا بكثير على الشاطىء، لكن دفء وحميمية هذه الغرفة لا

تقارن بالشاطىء. وهي رفضت دوماً علاقة حميمة مع رالف.

ـ من هو صاحب الحظ السعيد؟

ـ اه... اسمه... همم... رالف.

فضاقت عيناه:

ـ رالف ماذا؟

ـ و... هل هذا... مهم؟

فرد ببطء وتفكير:

ـ لا... لا يهم... لم يكن مهماً حتى حاولت تجنب الرد... فلننظر إلى الأمر بمنطق... تحملين خاتماً ذا فص ألماسي بحجم مكعب الثلج... تعملين في صحيفة «دايلي سبوت». هذه الصحيفة بالذات أكبر المساهمين فيها اسمه رالف... رالف وست، صاحب مؤسسة الاستثمارات العامة. فلنجمع كل هذا... عظيم... يا إلهي ماذا تفعل بعض الفتيات لتصل إلى القمة؟

ـ الأمر ليس هكذا... فأنا...

ـ كيف اوقعته ليطلبك للزواج؟ أنت لست من طرازه؟... هل منعت عنه جسدك الجميل إلى أن وقع ولوّح لك بالخاتم؟

مد يده ليداعب ثنايا عنقها... فقالت بفزع:

ـ لا... بالطبع لا...! إنه...

فدفعها عنه باشمئزاز. وأخذ يمسح يديه ببيجامته وكأنهما تلوثتا:

ـ أتعنين أنك سمحت له بأن...؟ يا إلهي... الرجل يزيدك عمراً بما لا يقل عن ثلاثين سنة!

ـ بل ستة وعشرين... فأنا في التاسعة عشرة.

ـ وهو في الخامسة والأربعين؟... هذا مقرف!

ـ لكني لن أتزوجه... فقد غيرت رأيي.

ـ لماذا؟... ألن تصبري على ضربه الأسبوعي الذي سيوقعه بك؟

اصبح وجهها أبيض من الشحوب:

ـ ضر... ضرب؟

ضحك بخشونة:

ـ لا تقولي انه لم يضربك بعد، فزوجته الثانية لم تتحمل الضرب. لكن ربما تكونين من النساء اللواتي يتلذذن بمثل هذا!

ـ بالطبع لا...! هل كنت تعرف زوجته؟

ـ أجل... كنت أعرفها.

ـ ورالف... هل كان معتاداً على صفعها؟

لا، لا تصدق... ألا يعلم والدها بالأمر؟ كيف يسمح لها بالزواج من رجل مثل هذا؟

ـ بل على ضربها... وكانت المسكينة تقول دائماً إنها وقعت.

ـ لم أكن أعرف هذا.

ـ وكيف تعرفين وأنت حينها ربما كنت في العاشرة؟

إذن والدها يعرف... فهو شريكه منذ ما يزيد عن خمس عشرة سنة وكان سيتركها تتزوج وحشاً... لماذا؟

سألته:

ـ هل لديك هاتف؟ أنا مضطرة لأتصل بشخص ما.

ـ ليس لدي هاتف، أو راديو، أو تلفزيون، ولا أقرأ الصحف.

إذاً لهذا ظنها صحفية تسعى للوصول إلى القمة... ما أشد خطأه! إنها لم تعمل بعد في حياتها. إذ كان والدها كلما طلبت منه العمل يقول إنه يحتاجها في المنزل وكان لرالف الرأي نفسه. ربما لو دخلت دوّامة العمل لوجدت بعض الاستقلالية عن والدها، ولما استطاع عندها إقناعها بسهولة للزواج من رالف.

ـ أنت تعلم إذن أن الجمهور في شوق إلى معرفة ما جرى لك؟

ـ لكن هذا الجمهور كان سريعاً في إدانتي منذ سنة. وأنا عادة لا أقوم بمقابلات صحفية عند الثانية صباحاً آنسة برايس... بل في الواقع انني أرفض أي نوع من المقابلات... بإمكانك الليلة النوم في هذا الفراش لكن في الغد يجب أن ترتبي أمرك.

ـ غد... غداً؟

ـ لقد قلت لك... أنك لن ترحلي، قبل أن أقرّر الرحيل. وهذا قد يستغرق شهوراً.

ـ لكنني قلت لك إنني لن أستطيع! سيد هارفي أنا...

ـ اسمي بول. وإذا اضطررت لمناداتي فناديني بيل أمام الناس... لا يزورني سوى بعض الجيران الذين لا فكرة لديهم عن هويتي... هل فهمت؟

ـ أجل... لكن إلى أين؟

منعه سؤالها عن الخروج من الباب.

ـ ما بك، ألست معتادة على النوم وحدك؟

فردت بغضب:

ـ أنا أنام وحدي دائماً.

ـ دائماً؟

ـ أجل!

فتمتم بقساوة ساخرة:

ـ اتساءل ما إذا كان وست معتاداً على العذارى. فأنا أعرف أن ذوقه اسوأ من هذا بكثير!

كلماته التي تمتمها برقة، أثارت في مخيلتها اشياء لم تكن تفكر فيها من قبل... فاحمر وجهها وهي تشاهد الاشمئزاز في عينيه، كأنه يقرأ أفكارها... فقالت لتخفي خجلها وحرجها:

ـ أنت مثير للاشمئزاز.

ـ ربما... ولكن يبدو أنك استسغتِ الفكرة.

ترى كم من الضحك سيتعالى من بول هارفي إذا علم بالمأزق الذي زجّها أبوها فيه، أو إذا علم بأنها أحبته منذ النظرة الأولى. سمعته يقول ببرود:

ـ لقد جربت هذا من قبل!

ـ جربت ماذا؟

ـ زميلة صحفية لك اسمها كيم والش، اغوتني لأنام معها ثم حاولت استدراجي إلى الحديث لنقله إلى الجريدة وذلك منذ ستة أشهر. ولا حاجة إلى أن أقول انني هربت من ذلك المكان وكأنه الجحيم. لم أعرف أنها مراسلة إلا في وقت متأخر.

فقطبت:

ـ لكنك قلت إنك لم تقل شيئاً أمام أحد.

ـ لم يكن الوقت قد تأخر كثيراً على مثل هذا.

ـ إلى أين ستذهب الآن بول؟

أبدلت الموضوع بآخر أقل إيلاماً لها. فماضي بول هارفي مليء بالنساء اللواتي شاركنه حياته... أحست بأنها تكره كل واحدة منهن.

ـ إلى الطابق الأرضي... لأنام على الأريكة... فلست في مزاج رائق الليلة. أخبريني هل يعرف وست مكان وجودك بالضبط؟

انه لا يعرف انني مسافرة هذا حسب علمي! فرددت مدافعة عن نفسها:

ـ ولماذا أخبره؟

بدا راضياً وهو يقول:

ـ أن لا يعلم أفضل لي.

ـ وكيف تعرف انه لا يعلم؟ أنا لم أقل انني لم...

ـ انه لا يعلم... ولو كان يعلم لقلت هذا مباشرة.

فتنهدت:

ـ انت على حق انه لا يعلم.

فضاقت عيناه ريبة:

ـ لماذا تعترفين بهذا... اهو نوع جديد من التقارب؟ أبعد أن علمت أنّ ادعاء الإجازة ذاك لن يفيدك تحاولين الآن صب فتنتك عليّ.

ـ أنا لست مهتمة ب... ساليا ويلبي... أو بعلاقتك بها.

ـ هذا جيد لأنني لا أنوي مناقشة الأمر معك... اخلدي إلى النوم، فتبدين بحاجة إليه... أحلاماً سعيدة.

فلتكن ملعونة الأحلام السعيدة. إنها لم تتمكن من الاغفاء حتى فكيف بالحلم. ليتها أقنعته بأنها ليست مراسلة. فعندها كان سيتوقف عن رفضها ومقاومتها، وقد ينظر إليها على أنها امرأة. ثم ماذا سيفعل والدها عندما يعلم انها غيرت رأيها بشأن الزواج من رالف... إنه دون ريب سينضب.

ظل اسود لاح فوقها وغطاها تماماً. فصرخت برعب...

ـ اصمتي ايتها الحمقاء! (صاح بها صوت مألوف).

ـ لقد أخفتني.

جلست فلاحظت أن وهج النار هو الذي ضخّم ظل بول فوقها... اوه يا إلهي هل غير رأيه بشأن مشاركتها الفراش؟ لكنها لم تدرِ ما إذا كان قلبها الآن يقفز خوفاً أم ترقّباً.

وضع كوباً على الطاولة أمامها:

ـ لا سبب لك لهز المنزل بالصراخ... لقد جئتك بكوب من الشوكولا الساخن... سيساعدك على التخلص من اضطرابات النوم... فقد سمعت صرير السرير أكثر من ربع ساعة.

أدركت أن هذا أبقاه صاحياً كذلك... لكنها نظرت إلى الكاكاو بارتياب... ففهم تلك النظرة وابتسم:

ـ ليس فيها سوى بعض السكر. فليس لدي مخدرات.

فاحمر وجه جاكلين:

ـ آسفة. أنا لا أفكر بهذه الطريقة، فلا حاجة لسخريتك.

ـ آسف جداً آنسة برايس... يمكنك أن تعزي تصرفي الفظ إلى قلة المعاشرة البشرية... فصاحبي «ابليس» لا يطلب سوى الطعام والدفء والقليل من الحب... إذا فكرت قليلاً في الأمر فأعتقد أنه مثل النساء.

فتنهدت:

ـ أنا تعبة سيد هارفي... ولست في مزاج يسمح لي بسماع هذا الكلام الخيالي.

ـ اشربي الكاكاو إذن، سيساعدك على النوم.

ـ لم أشربه منذ كنت طفلة.

لكنها وجدت أنها ما زالت تحبه. فمازحها بلطف وهو يتناول الكوب من يدها.

ـ وهل كان هذا منذ زمن بعيد؟

دفعها فوق الوسادة قبل أن يقفل سحاب كيس النوم عليها. فابتسمت له بنعاس وردت على دعابته بصوت أشد رقة:

ـ شكراً لك... أبي!

لكنه لم يتأخر بالرد:

ـ ليس أنا جاكلين... ربما وست يصلح أن يكون أباك لا أنا... ولأبرهن لك هذا...

مد يديه ليرفعها ثانية عن الوسادة فعانقها بشوق. وإذا بالنعاس يهرب من عينيها، وإذا بذراعيها تمتدان إلى عنقه وبأصابعها تتخلل شعره الأسود الطويل... لم يصدر عنها أي من نوع من الاعتراض... بل أحست على الفور أنّ النار قد

اشتعلت فيها، تحرقها بمشاعر لم تكن تعرفها من قبل. إنّ أول لمسة من هذا الرجل أرسلتها في عالم عجائبي. ثم... ابتعد عنها، مبعداً يديها عن عنقه:

ـ لقد قلت لك، إن ليس لدي مزاج الليلة. لقد أطعمتك، وها هي النار تدفئك. وحصلت على بعض الحب. ويجب الآن أن تغطي في نوم عميق يماثل نوم «ابليس».

اسودت عيناها ألماً. فرفضه لها كان حاداً كالسكين فقالت بحشرجة:

ـ أنت ظالم!

ـ وأنت ممثلة قديرة! كدت أصدق أنك تمتعت بمداعباتي.

ـ لكن هذا صحيح!

ـ حقاً؟ وماذا تسمين هذا، اكتفاء عملي؟

فشحب لونها:

ـ أتظن أنني استجبت لك لأحصل على قصة...

ـ هذا بالضبط ما أظنه... اتساءل ما إذا كان وست يعرف مدى التمتع الذي تنالينه في عملك.

تدفقت دموع الخجل من عينيها بشدة:

ـ اخرج من هنا! اخرج دعني وشأني؟

رالف رجل جذاب لكنه لم يثرها يوماً كما أثارها هذا الرجل ولربما كانت عدم استجابتها له تجعلها تشعر في قرارة نفسها أنه ليس الرجل المناسب وهذا ما أيقنته في الوقت الحالي. فاستجابتها المجنونة لمداعبات بول خير دليل.

كان الوقت متأخراً في الصباح عندما استيقظت، بعد

التاسعة. تسمع صوتاً غريباً في الخارج. وبينما كانت تهم من السرير لتستوضح السبب، توقف الصوت. وسمعت شخصاً، افترضت انه بول، يتحرك في الطابق السفلي. . . ثم تناهى إليها صوته من باب الغرفة:

ـ هل ستبقين مستلقية طوال النهار؟ لست أدري أي نوع من الحياة كنت تعيشينها في المدينة. لكننا هنا نخرج من الفراش حوالي السابعة.

ـ هل انجلى الطقس؟

ـ أجل. . . والسماء مشرقة.

ـ وما كان ذلك الصوت منذ دقائق؟

ـ من الخارج؟

ـ همم.

ـ كنت أقطع الحطب للنار. ستكون الليلة باردة. . . لقد تأخرت كثيراً قبل التفكير بازعاجك. . . لكنني الآن بحاجة إلى حمام وثياب نظيفة.

ـ لكنك لن تنام الليلة على الأريكة.

ـ ولا أنوي ذلك. سأنام في فراشي الليلة. وأنت ستنامين على فراش وجدته في السقيفة.

ـ فراش إضافي. . . ؟

ـ أجل. أظنه فراشاً اقتنته السيدة كرفتر للزائرين.

ضاقت عيناه وتلاشى كل المرح منهما، ثم قال بجفاء:

ـ لكن، لا يمكن دعوتك بالضيف المرحب به! لقد أفسدت راحة بالي. وأجبرتني على البدء بالتفتيش عن سكن جديد. . .

ـ حسبي أقول لك. أنا لا أرحب بك مطلقاً بسبب تطفلك.

ـ لقد عرضت عليك الرحيل.

ضحك ساخراً:

ـ وأنت تعرفين جيداً أنني لن أقبل. هيا. . . ارتدي ملابسك والزمي فما دمت هنا سيكون الطهو من مهماتك.

تجاهدت لتجلس مستقيمة فبدا شعرها وكأنه غيمة شقراء شعث.

ـ لست بطاهية ماهرة!

ـ لكنك لن تكوني اسوأ مني. ثم انني احب أن تخدمني امرأة.

دفيء الطقس من جديد فالجو انجلى والضباب انحسر عن وجه السماء فبان النهار جميلاً. . . اختارت جاكلين سروالاً قصيراً ضيقاً أخضر وقميصاً بيضاء وخضراء لفت جسدها. فبدت ساقاها من تحت السروال القصير مديدتان رائعتا الشكل، ثم انتعلت صندلاً.

قابلت نظرات بول المذهولة بتحدٍ بعد خروجها من الحمام وحاولت ان لا تتأثر بنظراته الوقحة على كل ثنية من ثنايا جسدها الفتي. ثم سألته بعد أن ضاقت ذرعاً بصمته:

ـ حسناً؟

ـ أنت تعلمين أنك جميلة ومرغوبة، دون أن تسعي إلى إثبات ذلك.

ـ ومع ذلك، أحب سماع كلمات الاطراء.

فهز رأسه:

ـ تقربك بالتأكيد ليس مهذباً... لكنني لا أعتقد أن لديك دائماً فرصة لتكوني مهذبة... فلا تستعجلي بدفعي جاكلين... فشوقي لامتلاك هذا الجسد قد يطغى علي.

ـ بول...!

ـ ليس الآن جاكلين. ليس قبل أن أتأكد من دوافعك.

ـ لكن ابليس بدا مقتنعاً بدوافعي.

ـ انه خائن من الدرجة الأولى. فقد شاهدته يتسلل لينام معك. في الواقع... أحسست بالغيرة.

سبقها في نزول السلم... فاحمر وجه جاكلين. متذكرة ما تمتته البارحة، فقد أرادت منه أن يأوي إلى فراشها. لكنه على ما يبدو اساء تفسير صمتها.

ـ لا تقلقي. فأنا لم أتجسس عليك اثناء نومك.

ـ أين الفراش الإضافي؟

ـ ليس مهماً الآن.

ـ إنه مهم لي... أود أن أتأكد من تهوئته جيداً قبل أن أنام عليه.

ـ إنه تحت الشمس في الخارج... ابليس ينام عليه... لذا لا أعتقد انه في حال سيئة.

ـ القطط تعرف دائماً أنظف الأماكن وأفضلها... أليس كذلك. عندما كنت طفلة...

ـ جاكلين... في الوقت الحالي لا تهمني طفولتك. فلماذا كل هذا اللف والدوران في حديثك...؟

ـ لا شيء!

ـ دعيني أحزر. لقد قلت لك انني لا أريد التحدث عن علاقتي بساليا. فطفلة مثلك لن تقدر على انتزاع أية قصة مني.

ـ لم أكن أحاول خداعك... فقد قلت إنني لست صحافية. وهذا يعني أنني لا أهتم بالعلاقة التي كانت بينك وبين عشيقتك!

امسك بذراعها بقوة:

ـ لا تسمي ساليا عشيقتي مرة أخرى! أبداً... هل تفهمين؟

حاولت تحرير ذراعها منه بخوف:

ـ سمعتك بول! سمعتك!

ـ لا تلفظي اسمها ثانية... أفهمت ما أقول جاكلين؟

أجل لقد فهمت... فهمت أن مشاعره ما تزال مع ساليا... وأنها بالنسبة له امرأة خاصة... وأنه لن يسمح لأحد بأن يتكلم عنها.

صاح بها ثانية وهو يقف فوقها مهدداً: «جاكلين؟».

ـ أجل لقد فهمت.

قبلت الوضع مرغمة، تشعر وكأن قلبها بدأ يتحطم وينهار.

● ● ●

٣ ـ لياليها الناعسة

ـ إلى أين؟

رفع بول نظره إليها، ويده على اكرة الباب الموصل إلى غرفة تقع يمين غرفة الجلوس:

ـ لست معتاداً على الرد على أي كان يسألني عن تحركاتي.

احمر وجه جاكلين:

ـ كنت... اتساءل فقط إذا كان بإمكاني وضع فراشي فيها.

ـ لا... لا أريدك في هذه الغرفة إطلاقاً.

ـ لكن... لماذا؟

ـ لا يجب أن يكون لكل شيء سبباً... ابتعدي عنها فقط... فليس لهذه الغرفة قفل وبما أنك مراسلة فضولية فقد يدفعك فضولك إلى دخولها، لكن إن دخلت الغرفة فحياتك لن تساوي شيئاً عندها.

ـ وماذا فيها... بالله عليك... جثة؟

ـ ابتعدي عنها فقط؟ فما فيها ليس من شأنك.

يا إلهي إنَّ هذه الغرفة دون ريب معدة مزاراً مقدساً لساليا ويلبي وهذا دليل دامغ على مدى حبه لها. ما أسخف ما تشعر

به من غيرة تجاه امرأة ميتة! لو كانت المنافسة بينها وبين امرأة حية لاستطاعت التعاطي معها... لكنها لن تهزم أبداً ذكرى... جميلة عزيزة على قلبه.

ـ هل ستدخل إليها الآن؟

ـ أمضي معظم نهاراتي فيها وأحياناً جزءاً من لياليَّ. ولست مستعداً لتغيير هذه العادة من أجلك... لقد وعدتني بألا تغادري الكوخ، وقد ذكرت أنك لا تحنثين بوعد قطعته إطلاقاً.

ـ لكنني أرغب في الخروج للجلوس تحت أشعة الشمس.

ـ حسناً... لكن لا تبتعدي كثيراً... سأجدك قبل أن تتمكني من الوصول إلى أي مكان. وستندمين عندئذ على خروجك.

ـ سأصطحب ابليس معي.

ـ اوه... أنا واثق أنه سيكون شاكراً لك.

ـ أكثر منك.

ـ اوه... انا أقدرك كثيراً جاكلين... فإن لم يكن تقديري يشملك، كلك فهو يشمل جزءاً منك.

ذلك النهار كان نموذجاً للأيام القادمة. فقد وضعت الفراش في غرفة النوم، وناما فيها في الليالي الثلاث الأخيرة، هي على الفراش وبول على السرير. كان يفطران معاً، الطعام الذي كانت تحضره. ثم يختفي بول في الغرفة.

كانا تقريباً أشبه بزوجين يتحدثان بعفوية في الأمسيات عن مواضيع لم تكن تثير غضبه. فقد تعلمت بسرعة أية مواضيع تتجنب... وانقلب ما بينهما إلى صحبة مؤدبة ودودة. ومع

فراشة المحبة
www.liilas.com

ذلك بقي على شكه فيها.

في الليلة الرابعة... انكسر الروتين وذلك عندما عاد بول إلى «غرفته» بعد العشاء. فأمضت جاكلين الأمسية تحدق بامتعاض في الباب الموصد. طلبات ابليس للاهتمام كانت تشير إلى افتقاده سيده أيضاً. فرحت تمسح وبره الأسود وهو مستلق في حجرها:

ـ هذا ليس عدلاً «ابليس» لقد تركنا وحدنا طوال اليوم، وها أن سيدك المزاجي قد تركنا وحدنا ثانية. أراهن أن وجودي منعه من إدخالك إلى الغرفة.

ـ لكن السيد المزاجي لا يُدخل ابليس معه إلى الغرفة. لأنه يقطع عليه تركيزه.

ـ بول!

سحرتها بسمته وتراقص قلبها للفتنة المسترخية في قسماته فسألته:

ـ التركيز على ماذا؟ ولماذا تبدو سعيداً؟

ـ لأنني انتهيت.

دفع ابليس من مكانه على الأريكة:

ـ حان وقت الكبار الآن.

وتمدد عليها ليضع رأسه في حجرها:

ـ يا إلهي هذه الأريكة ليست مريحة... لكنك أنت مريحة.

استقر رأسه في حضنها، وقال بصوت مغرٍ:

ـ هل اشتقت إلي؟

ـ تعرف انني اشتقت إليك... فليس من دواعي السرور الجلوس وحيدة هنا.

أمسك بيدها فوضع ذراعها على صدره، وتلاعب بأصابعها:

ـ لم تجدي المرح في كوخي هذا. أتحبين التغيير؟

أجفلتها كلماته فحاولت جذب يدها منه، لكنه لم يتركها فسألته:

ـ ماذا تعني؟

ضحك بول ثم جلس ليواجهها:

ـ ليس كما تفكرين! استخدمي عقلك جاكلين... أما كانت الفرص سانحة لي خلال الليالي السابقة؟ لكن مزاجي بيني وبينك.

ـ وهل مزاجك تبدل الآن؟ فقد يكون لي رأي في هذا!

ـ أنا واثق أن لك رأيك.

مزاحه ازعجها ودفعها للغضب.

ـ سأقول لك حتماً «لا».

ـ وهذا ما أنا واثق منه كذلك. والآن، ما كنت اقترحه هو أن نخرج معاً.

اتسعت عيناها دهشة... انها سجينة هذا الكوخ منذ أربعة أيام... ولكنها ليست متأكدة من رغبتها في التحرر، فقد أحبت البقاء معه...

ـ أنا وأنت... نخرج معاً؟ (سألته دهشة).

ـ حسناً... لا أرى أحداً سوانا في هذه الغرفة. لذلك من

المفترض أنني أعنيك.

ـ ألن تتوقف عن الهزء بي؟

فتنهد:

ـ أنا لا أهزأ منك جاكلين... سألتك ما إذا كنت ترغبين في الخروج. نعم أم لا؟

ـ نعم... ولكن...

فوقف:

ـ إذن فلنذهب. فليس لدينا متسع من الوقت للوصول إلى هناك.

ـ الوصول إلى أين؟

ـ إلى الفندق الذي كنت تقيمين فيه... ستتناول القهوة هناك.

ـ لكن... ألن يتعرفوا إليك؟

ـ بلى ولكن تحت اسم بيل جوردن. فهذا هو اسمي في هذا الريف.

ارتدت معطفها، فالليل كالعادة اشتدت برودته... فقال بسرعة:

ـ هيا نذهب قبل أن أغير رأيي.

ـ وهل سنصل في الوقت المحدد؟ الوقت متأخر!

ـ لدي سيارة.

ـ سيارة؟ ولكنني لم أرها؟

ـ إنها في الكراج عند آخر الممر... نادراً ما استخدمها... اشتريتها من أحد المحليين الذي مُنع من القيادة

ثلاث سنوات بسبب الحوادث الأربعة المتتالية التي تعرض إليها.

في الواقع، كانت حطام سيارة... زرقاء شاحبة اللون صدئة. سقفها الأسود، يشير إلى أنه دُهن يدوياً. مقاعدها محطمة جزئياً ويبرز التنجيد من تحت الجلد.

ـ هل سيكون ابليس على ما يرام وحده؟

ـ أظن هذا... مع أنه أصيب بالبلادة منذ وصلت، ولم يعد يصطاد الفئران بعد أن اعتاد على طعامك اللذيذ.

ظهر القرف على جاكلين.

ـ لقد اصطاد فأراً بعد الظهر وأحضره إلى المنزل ليضعه تحت قدمي، فكدت أتقيأ.

ـ هذا طبيعي... وأنا مع الطبيعة!

كلامه المليء بالمعاني جعلها تحمرّ خجلاً. فاختارت أن تغير الموضوع لتخفيف توترها من هذا الرجل.

ـ بماذا نحتفل... ما الذي انهيته لتوك؟

ـ العمل الذي جئت إلى هذا المكان لأتمه.

ـ ما هو؟

ـ اذا تابعت اسئلتك، فسأعيدك فوراً إلى الكوخ... فهل نكمل المسير أم نعود؟

ـ اوه... بل نكمله.

فمد يده يداعب خدها:

ـ أنت تجلبين غضبي عليك... لماذا لا يمكنك نسيان وجودك هنا؟ أنا أحاول جاهداً نسيان هذا.

ـ اترى... صدقت أم لم تصدق، أنا ما جئت إلى هنا إلا لأقرر ماذا أفعل بشأن زواجي من رالف وست... وها أنا ذا واثقة أنه ليس الشخص المناسب لي.

ـ وكيف اكتشفت هذا الاكتشاف المذهل؟

ـ اكتشفت أن الحب شيء آخر. وأنني أحب شخصاً آخر!

التفتت إليه تاركة مشاعرها تبدو واضحة في عينيها. آه ليته يقرأ ما فيهما! فهز رأسه وهو ينظر إليها قائلاً:

ـ من... اوه لا... جاكلين. قد أكون غبياً، وربما اخطأت كثيراً مع الناس في الماضي... لكنني لست أبله لأقع في هذه الحيلة... مع أنك ناجحة فيها أكثر من الكثيرات.

قطبت جاكلين مدركة أن الأمر تجاوز ما أرادته. فماذا كانت تتوقع؟ أن يعلن حبه؟ إن وقوعها في حبه خلال أيام أمر غير طبيعي. لذا ليس عليها أن تتوقع منه حباً. لكنها لم تكن خجولة من أن تبثه مشاعرها نحوه.

ـ ناجحة أكثر من الكثيرات؟

ـ أعني عملك... ما بالك؟ هل يكاد ينتهي الوقت المحدد للحصول على القصة.

ـ لا أفهمك... إنك...

ـ أما أنا أفهمك... أفهمك جيداً. لكن التظاهر بأنك تحبيني لن يوصلك إلى شيء. أنا آسف جاكلين... لن أحدّثك عن شيء.

ـ أيا النذل الساخر! أكرهك!

مدت قبضتها لتضربه على صدره، فأمسك بها:

ـ ما من أحد يضربني. خاصة امرأة... أنت بحاجة لتروّيض أيتها الثعلبة المتوحشة، وإذا لم يكن رالف وست قادراً على هذا... سأفعل بنفسي!

كان قد أوقف السيارة أمام الفندق... فأمسك بها ليجذبها إلى جسده القوي... قاومته جاكلين قدر استطاعتها. لكنها معركة خسرتها قبل أن تبدأ بها. فجسدها الخائف تقوس باتجاهه... لكنها لم تحس باللطف في عناقه لها، بل بالقساوة والمطالبة... وبعض الازدراء.

الازدراء هو الذي دفعها أخيراً إلى دفعه بعيداً عنها... تحت بابها بسرعة ونزلت من السيارة لتعبّ أنفاساً عميقة من الهواء. ثم نظرت إليه وهو يخرج من الناحية الأخرى، وقالت له بغضب ملتهب:

ـ أنا لست مروضة سيد هارفي! ولن أكون أبداً.

ضاقت عيناه وغدتا كقطعتين من فولاذ.

ـ سنرى.

وأقفل باب السيارة... أصبحت فكرة قضاء الوقت في الفندق محاولة التظاهر بأن كل شيء بينهما على ما يرام مستحيلاً... فقالت له فجأة:

ـ أود العودة إلى الكوخ.

أمسك ذراعها ودفعها باتجاه مدخل الفندق.

ـ أود أن أشرب شيئاً. لذلك يجب أن تدخلي معي.

فما كان منها إلا أن دخلت متخذة مقعداً خشبياً في مؤخرة المقهى فلاحظت أن هناك ستة أشخاص يسهرون. منهم شابان

يجلسان كسواح في جهة والأربعة الآخرون يجلسون من جه
أخرى.

تقدم ليضع المشروب أمامها، لكنها تظاهرت بأنها تهـ
بذينك الشابين وهو اهتمام لم تكن تشعر به.

جلس بول قربها قائلاً:

ـ أظنك أعجبته كذلك.

التفتت إليه فأجفلها قربه منها فوجهه ما كان يبعد عنـ
سوى سنتمترات قليلة والتفاتها نحوه جعل جنبيهما يتلامسا
فوق المقعد. عندها أرخى بول ذراعه على ظهر مقعدها...
فرمشت عيناها مظهرة الحيرة:

ـ آسفة...؟

فبردت تعابير وجهه:

ـ الرجل الذي تحدقين فيه... يبادلك الاهتمام.

ـ أي رجل...؟ اوه! لم أكن انظر إليه أو إلى شخص آخر
بل تطلعت بفضول إلى سائر الموجودين هنا.

ـ غريب كيف أن لنا أنا وهو الانطباع نفسه، فهو لم يستطع
إشاحة نظره عنك.

ـ حقاً؟

التفتت إلى الرجل بفضول... حقاً، إنه يحدق فيها.
وصديقه كذلك استدار لينظر إليها أيضاً. وبدأت تحس بقلة
الراحة، فأدارت ظهرها لهما:

ـ ربما أذكرهما بشخص ما.

أم أنهما تذكرا صورتها في الصحيفة يوم إعلان خطبتها

...

وأكملت كلامها ساخرة:

ـ أم أنك أنت من يثير اهتمامهما!

فنظر إليها بنزق وغضب:

ـ انهما لا ينظران إلي.

ـ وهل يصيبك هذا بالغيظ؟

ـ ماذا قلتِ؟

جعلها غضبه تندم فوراً على وقاحتها: «أنا آسفة...!».

ـ ستكونين آسفة جداً... عندما نعود إلى المنزل.

ـ المنزل؟

ـ الكوخ.

ووقف:

ـ فلنذهب من هنا.

ـ لكنني لم ألمس شرابي بعد!

ـ هذا مؤسف، فقد أنهيت شرابي. وبما أنني أملك وسيلة
النقل، فستذهبين معي.

ـ لكن...

ـ أغراضك في الكوخ. وإذا كنت تفكرين في الهرب، أظن
أن صديقنا الشاب هناك سيكون سعيداً للاعتناء بك... مقابل
الثمن... ثمن يبدو أنك مستعدة تماما لتدفعيه.

كادت تمد يدها لتصفعه للمرة الثانية في هذه الأمسية
فقال:

ـ ليس ثانية... يا إلهي طبعك هذا بحاجة إلى كبح!

برزت الدموع في عينيها:

ـ أنت تهينني ثانية، إذا سمحت لك بمعانقتي فهذا لا يعني أنني قد أدع أي شخص آخر يفعل هذا.

فقال بخشونة وهو يشدها نحو الباب:

ـ الفتيات مثيلاتك لسن بارعات في الاختيار أو التصنيف... هيا... فلنخرج من هنا.

فقاومته:

ـ لا داعي إلى هذه الفظاظة والوحشية! فالناس يحدقون بنا.

ـ لست أهتم بأحد. فقد يعزون تصرفي هذا لرغبة طبيعية في أن أكون وحدي معك.

صعدت إلى السيارة مرغمة وقالت له بغضب:

ـ ليس فيك أي شيء طبيعي... كلك لست طبيعياً!

ـ أكنت تفضلين البقاء والتحدث مع معجبك الشاب؟ لقد وقف لتوه ليتقدم إلى طاولتنا ويتحدث إليك. انظري خلفك... هيا انظري.

نظرت جاكلين خلفها فشاهدت الشاب الأشقر يقف خارج الفندق ينظر إلى السيارة المبتعدة وخيبة أمله واضحة، فقالت له:

ـ أظنه عرفك.

ـ ربما... يا إلهي أنت لم تسببي لي سوى المشاكل منذ ظهورك في حياتي عبر الضباب. كان يجب أن أرميك إلى الخارج منذ الليلة الأولى.

ـ لكنك لم تفعل.

ـ كان يجب أن أغض النظر عن الشعر الأشقر الساحر، والعينين الخضراوين الواسعتين... لقد صعبت الأمور على نفسي. لكنني سأغادر هذا المكان قريباً... وقريباً جداً.

ـ وإلى أين ستذهب؟

اتسعت عيناها ذعراً... فكيف يختفي ثانية... أو كيف يخرج من حياتها إلى الأبد... فبدت على وجهه ابتسامة ساخرة خالية من المرح:

ـ ألا تودين أن تعرفي...؟ نصيحتي أن تتركي هذه المهنة... اتركيها قبل أن تدمرك... ففيك ما تزال فتاة طيبة بريئة حلوة. انسي انك صحفية، انسي امر زواجك من وست، وابحثي عن شاب تتزوجينه وانجبي ستة أولاد. هذا ما يجب أن يكون عليه قدرك. زوجة وأم. لا صحفية مستهترة تفعل أي شيء في سبيل قصة.

ـ لماذا أنت مهتم بمستقبل حياتي؟ وقد أظهرت بوضوح عدم إعجابك بي.

ـ بل تعجبيني كثيراً، لذا أود رؤيتك تخطئين هكذا.

ـ وهل... أعجبك؟

ـ يعجبني ما قد تصبحين عليه.

أوقف السيارة. فسارت جاكلين إلى جانبه في الممر الوعر. كان الظلام يغلفهما بألفة حميمة. فأمسكت ذراعه لكنها لما شعرت به يتصلب سألته بصوت أجش:

ـ وماذا يمكن أن أصبح بول؟

ـ لقد قلت لك.

وتوجه إلى الغرفة المحرمة ليفتح الباب:

ـ وهل ستعمل... الآن؟

فنظر إليها بحدة:

ـ سمعت أن العمل بديل ممتاز.

وأقفل الباب بقوة وراءه. حسناً، إذا كان يظن أنه تخلص منها لليلة فهو مخطىء... ستستلقي على الأريكة وتنتظره، وعندها لن يستطيع دفعها من حياته... بل لن تسمح له!

كان الظلام شديداً عندما استيقظت، فالنار تكاد تخبو، وابليس يجلس على ركبتيها سعياً للدفء. والنور ما زال منبعثاً من الثغرة تحت باب غرفته... ما هو هذا العمل الذي يدوم ساعات لا تنتهي.

فجأة امتلأت الغرفة بالنور بعد أن فتح بول الباب لينظر إليها دهشاً:

ـ ألم تخلدي بعد للنوم؟

فابتسمت:

ـ ما أذكاك! كيف عرفت؟

ـ لماذا لم تنامي؟

ـ كنت انتظرك.

فتقدم منها ورفعها عن الأرض بين ذراعيه... وقال:

ـ ألا تستسلمين مطلقاً؟

لفت ذراعيها حول عنقه، ثم أرخت رأسها على كتفه.

ـ لا أريدك أن ترحل من هنا دون علمي.

فحملها فوق السلم، ثم وضعها على السرير، ووقف يتفرس فيها كالشيطان نفسه.

ـ عندما أقرر الرحيل... أخبرك.

أخذ جفناها يثقلان:

ـ وعد؟

فتنهد:

ـ اعدك... ! اخلدي للنوم الآن... يجب أن نتحدث في الغد... هه؟

ـ اوه... أجل... بول.

ـ ولا أريد التحدث عن الماضي... بل عني وعنك، لا عن رالف، ضعي القط هنا ليبعث إليك بعض الدفء.

ـ شكراً لك.

ـ انه يحبك كثيراً لذا اعتقد أنك ستضطرين إلى حمله معك عندما سترحلين.

ـ وهل علي الرحيل؟ ألا يمكنني البقاء... معك؟

ـ قلت لك انني راحل بعد وقت قصير.

ـ أرافقك عندها؟

ـ قلت سنتحدث غداً. فالأمور تبدو أوضح في ضوء النهار.

ورمى حطبة في النار قبل أن ينسحب ويقفل الباب بهدوء.

في الصباح التالي، حين كانت تغتسل وتبدل ثيابها. كان قلبها يعيش حالة ترقب. فلما نزلت إلى الطابق الأرضي وجدت بول يرتدي سترته فسألته متوترة:

ـ إلى أين؟

منتديات ليلاس الثقافية

التقط مغلفاً.

ـ سأرسل هذا بالبريد... لن أتأخر.

ـ سأرافقك.

ـ سأعود بعد عشر دقائق. ابقي هنا وهيئي لنا الفطور.

ـ أنت... ستعود؟

ـ أنا لا احب النساء المتشبثات بي جاكلين... سأعود... عندما انتهي.

ارتجفت شفتها السفلى من معاملته الجافة، فتمتمت:

ـ آسفة.

فتوقف عند الباب ونظر إليها بحزن. ثم قال بنعومة وهو يمسح الدموع عن عينيها باصابعه:

ـ لا... بل أنا الآسف. إنك إمّا أرهف النساء حساً في الدنيا وإما أبرعهن تمثيلا. فأيهما أنت جاكلين؟

كان ردها أن رمت نفسها بين ذراعيه، دافنة وجهها في صدره. متمتمة بصوت مخنوق:

ـ أنا لا أمثل يا بول... حقاً... لا أمثل.

فأبعدها عنه:

ـ حسناً... سأعود بعد بضع دقائق. يُعدّ خلالها الطعام ويوضع على الطاولة.

فابتسمت من خلال دموعها:

ـ أنت طرزان وأنا جين.

ـ هذا صحيح يا امرأة.

شرعت جاكلين بكل سعادة تحضر الفطور... سيكون كل

شيء على ما يرام بينهما... فهي واثقة من هذا الآن.

عندما سمعت صوتاً في غرفة الجلوس بعد دقائق أسرعت لتستقبله. لكنها تسمّرت جامدة في مكانها وهي ترى الشابين اللذين رأتهما ليلة أمس في الفندق... وما جعلها تُدهش اقتحامهما الكوخ اثناء غياب بيل. فصاحت بهما ساخطة:

ـ ماذا تفعلان هنا؟

أجاب أصغر الشابين:

ـ أين ذهب هارفي؟

لم تستطع اخفاء دهشتها، فهزت رأسها متظاهرة بالذهول:

ـ آسفة! لست أدري ما تعني!

فابتسم الرجل الأسمر من ردة فعلها وقال متحدياً:

ـ نحن نعني بول هارفي يا حبي!

ـ بول هارفي؟ اوه يجب أن يكون قصدك زوجي.

لم تستطع منع الاحمرار عن وجهها بادعائها الزواج من بول. إن الفكرة جعلتها تصاب بالدوار...

اضافت قائلة:

ـ يظنه الناس دائماً بول هارفي.

فقال الأشقر ببرود:

ـ لن تخدعينا بقولك هذا. نعرف من هو. كما نعرف من أنت آنسة برايس!

فشحب وجهها، وقالت:

ـ أظنكما على خطأ... اسمي جوردن... وأعيش مع زوجي...

فهز الأسمر رأسه، وأخرج محفظته ليظهر صورة مدّها إليها. فتناولتها جاكلين بيد مرتجفة. إنها دون ريب صورتها وليس الصور العادية التي تنشرها الصحف من وقت إلى آخر، بل صورة أُلتُقطت لها في إجازة قامت بها مع والدها في برمودا هذه السنة.

نظرت بحيرة إلى الرجلين:

ـ لكن هذه...

فأكمل لها الأشقر:

ـ صورة التقطها والدك ونحن أخذناها منه.

ـ أتعني...

ـ أعني أننا نعمل لوالدك. وجئنا لنعيدك إليه.

•••

فراشة الجنة
www.liilas.com

٤ ـ زواج بالإكراه

عضت جاكلين على شفتها واستدارت... اذن والدها أرسل هذين الرجلين! كان يجب أن تعرف هذا... كان يجب أن تعرف أنه لن يتركها تتمتع بإجازتها كما يحلو لها... فهو مسيطر على حياتها مذ وعت على هذه الدنيا. أرسلها إلى المدارس التي يراها مناسبة. كان يسمح لها بمصادقة الفتيات اللواتي يعتبرهن من مستواها الاجتماعي ولا يسمح لها إلا بمعاشرة العائلات المحترمة وكان هو من اختار لها زوجها المستقبل.

إنها ترى كل هذا الآن... فلم يحدث يوماً خلال سنواتها التسعة عشرة أن تركها تبتعد عن ناظريه أكثر من يوم. لذا صدمه ميلها للاستقلال في هذه المرحلة المتأخرة... سألت الرجلين بخشونة، فالصورة لم تدع لها مجالاً للتظاهر بعد الآن:

ـ كيف وجدتماني؟

ـ نستطيع التحدث عن هذا أثناء طريق العودة إلى مونتريال... متى تتوقعين عودة هارفي؟

بول! اوه يا الله! بول! لا تريد أن تتركه، لا تريد أن ترحل لأنها بذلك لن تراه ثانية.

ـ قد يعود في أية لحظة. لكنني...

ـ إذن من الأفضل أن نتحرك. رافق الآنسة إلى السيارة بات حتى ألملم لها أغراضها.

أمسك بات ذراعها يجرّها إلى الباب... فنظرت إليه جاكلين بشموخ. فإذا بأصابعه تخفف الضغط... لكنه حافظ على قبضته، وقالت:

ـ لن أترك المكان قبل أن أرى السيد هارفي.

كانت باردة، متكبرة تظهر ملامحها بوضوح انها ابنة أبيها فصاح الأسمر بات إلى زميله مستنجداً:

ـ فرانك؟

فتنهد فرانك:

ـ لدينا تعليمات من والدك بإخراجك من هنا... وأنا لن اجرؤ على مجادلة أوامره.

في الواقع بضع أشخاص يجرؤون على هذا... وأحدهم هو رالف وست، بل هو الوحيد الذي يجرؤ على مخالفته... وهي من المفترض أن تقبل به زوجاً... يا الله! كأنها تستجير بالرمضاء من النار! والحمد لله لأنها غيرت رأيها بشأن هذا الزواج.

فردت عليه بحزم:

ـ أنا... أنا لن أغادر المكان إلى أن أتحدث إلى بو... السيد هارفي.

رفع فرانك حاجبيه وأشار إلى الباب:

ـ بات!

فشهق بات:

ـ أتعني؟

ـ أعني احملها إلى الخارج... فأنت تعرف تعليمات السيد ... إذا لم تأت معكما طوعاً فاجلباها بالقوة.

فهز بات كتفيه:

ـ حسناً. آسف آنسة برايس... لكن ليس لدي خيار.

ثنت ذراعاه حول خصرها ورفعها.

فقاومته بعنف:

ـ بلى لديك خيار آخر! أنزلني...! أنزلني!

ـ فرانك...

فصاح به آمراً:

ـ اخرجها إلى السيارة. سأحضر لها أغراضها خلال دقيقة.

وتحرك نحو الباب المقفل. فصاحت به، تقاوم بشراسة أكبر:

ـ ليس هنا!

بات كان اقوى مما يبدو عليه، لأنها لم تتمكن من الافلات من قبضته.

ـ لا تدخل إليها... لا يمكنك!

وكان... ان فتح الباب... وتسلل ابليس من بين قدميه.

وسمعته يتمتم:

ـ حسناً... حسناً... إذن هذا ما كان يفعله، هاى بات ... والق نظرة على هذا!

حمل بات جاكلين إلى الباب:

ـ ما الأمر؟

ما شاهدته في الداخل جعلها تشهق، فالغرفة لم تكن مزاراً مقدساً لساليا ويلبي كما ظنت بل غرفة موسيقى... فيها بيانو ضخم ومئات من الأوراق الملأى بالألحان الموسيقية المنشورة على الأرض... اذن إنه يمضي كل وقته هنا ليؤلف الموسيقى!

لكنها لم تسمع صوت البيانو قط أثناء وجوده فيها. إذن كان يعمل على تأليف الموسيقى دون استخدامه، لئلا تعلم بما يفعل.

شهق بات بصوت منخفض:

ـ واو... اذن لهذا اختفى عن الأنظار تاركاً كل شيء.

نظر فرانك فجأة إلى ساعته وتحرك بعجل:

ـ حسناً، فلنتحرك، لا نريد أن نصطدم ببول... فقد لا يعجبه سرقة... رفيقته الصغيرة.

اصطبغ وجه جاكلين بالاحمرار وقالت متكبرة:

ـ أنا واثقة أن والدي عندما استخدمكما لم يأمركما بإهانتي!

ـ ربما لا... هيا تحرك بات واخرج الآنسة برايس من هنا.

ـ لكن... لكن دراجتي...

احتجت بأول ما تبادر إلى ذهنها علّها بذلك تؤخرهما.

ـ أعني أنها ليست لي ويجب أن أعيدها...

ـ لقد اهتممنا بأمرها.

ـ كيـ... كيف!

ـ لقد اشتريناها.

بالطبع... فوالدها يشتري شركات كاملة، ألا يستطيع شراء دراجة.

ـ لكنني...

ـ لا تجادلي... والدك يريد استرجاعك. ونحن ننوي أن يكون له ما يريد. لقد صدمته. لم يكن لديه فكرة أنك تعرفين هارفي حتى... فكيف بعد أن علم أنك على علاقة معه. هو الآن يريدك أضعافاً عن ذي قبل لئلا تتسببي له بفضيحة.

اتسعت عيناها ذعراً، وشحب وجهها:

ـ فضـ... فضيحة...؟ أي نوع من الفضيحة؟

ـ إذا أبعدناك عن هذا المكان لن تكون هناك فضيحة. لأنه عندها سيستطيع الايعاز بنشر مكان وجود المراوغ بول هارفي... وليس ذلك فحسب بل سينشر ما كان يقوم به خلال السنة الماضية. لكن هذا سيكون مستحيلاً إذا عرف أحد أنك كنت تقيمين معه في الأسبوع الأخير.

شحب وجه جاكلين:

ـ لكنكما تعرفان.

ـ دفع لنا والدك بسخاء لنبقي فمينا مقفلين. سأغيب دقيقتين لأجمع ما نريد من أغراضك.

تمكن بات من وضع جاكلين في السيارة، ذاك أن كل دفاعاتها ومقاومتها تخاذلت... لقد أفسدت كل شيء لبول! كم سيكرهها لهذا السبب! ولن تلومه.

عندما خرج فرانك من الكوخ، رمى ببعض الأشياء في الصندوق قبل أن يصعد وراء المقود وهو يقول ساخراً:

ـ غرفة نوم واحدة آنسة برايس... وفراش واحد كذلك.

لما انطلقت السيارة فوق الطريق الوعرة... ألقت جاكلين نظرة أخيرة على الكوخ المبتعد حيث أمضت أيامها الأخيرة فيه. كان ابليس يجلس في الخارج يلمّع جلده الأسود تحت أشعة الشمس بلسانه.

التفتت إلى الرجل الذي علق على وجود سرير واحد وصاحت به:

ـ احتفظ بأفكارك القذرة لنفسك. فأنا لا أرغب فيها ولا أقدّرها، ولا أظن والدي قد يقدّرها.

فابتسم فرانك بخبث:

ـ بعد أن سمع والدك ما قلناه على الهاتف ليلة أمس، يجب أن تتوقعي المزيد من هذا منه... فهدئي روعك آنسة برايس... فهذه الرحلة طويلة لأننا حسب تعليمات والدك لن نتوقف خلالها. لذا لا أظن أن مهاجمتك إيانا ستجعل منها ممتعة.

المسافة إلى مونتريال تزيد عن عشر ساعات... لم يتوقفوا خلالها إلا لتعبئة الوقود ولطلب بعض السندويشات. إلا أن جاكلين لم تتناول شيئاً من الطعام ذلك أن كل تفكيرها كان مع نيل... ماذا سيفعل عندما يجدها قد رحلت وماذا سيقول عندما يرى أن غرفته الخاصة تعرضت للغزو... عندها ستزداد قناعته بأنه كان على حق بريبته بها.

عندما وصلت في وقت متأخر من المساء وجدت أن الشقة التي تسكن فيها مع والدها تشع بالأنوار. وهذا يدل على توقعه

وصولها. خرجت من السيارة، وقالت بأدب بارد مصطنع:

ـ شكراً لكما... استطيع أن أجد طريقي وحدي.

فابتسم فرانك يهز رأسه:

ـ ما من مجال... لن تهربي منا الآن. قال والدك أن نسلمك إليه يداً بيد. وهذا ما سنفعله بالضبط.

كان والدها وحده في الغرفة، فلما رآها هبَّ واقفاً تظهر عليه سمات الراحة:

ـ جاكلين! شكراً لله على عودتك!

ضمها إليه بين ذراعيه لكنها لم تبادله عناقه بل أبعدت نفسها عن عناقه ببرود:

ـ كنت تعلم أنني عائدة... أما أكدّ لك كلبا صيدك هذا؟

فصرف والدها الرجلين:

ـ حسناً أيها الشابان... سأراكما غداً.

فسخرت منهما جاكلين بمرارة:

ـ لتقبضا أجر عملكما القذر.

فتنهد والدها:

ـ ولماذا بالله عليك كنت شريرة معهما؟ كانا فقط ينفذان تعليماتي.

لمعت عيناها كالزمرد وردت بحدة:

ـ أعرف هذا تماماً... لكن ما أحب أن أعرفه... لماذا؟ أذهب في إجازة لترسل رجالك خلفي لاختطافي.

ـ اجازة!

فردت بغضب مماثل:

ـ أجل إجازة... أردت بضعة أسابيع من الحرية... بضعة أسابيع لأفكر...

قاطعها بعنف:

ـ ولتسكني مع بول هارفي! أتعرفين ماذا قد يفعل رالف إن عرف بالأمر؟

فرفعت حاجبيها:

ـ أتعني أنه لا يعرف بعد؟

ـ بالطبع لا. وإذا عرف فسيلغي الزواج.

فجلست جاكلين ووالدها يذرع الغرفة متوتراً وقالت ببرود:

ـ جيد جداً... هذا بالضبط ما أريده أن يفعل.

كلامها أوقف والدها، ثم تقدم ليقف إلى جانبها وسألها بنعومة:

ـ ماذا قلت؟

نظرت إليه بعينين ثابتتين:

ـ لا أريد الزواج من رالف.

ـ أبسبب تلك الأيام التي قضيتها مع بيل هارفي؟ يا الهي يا فتاة. الزفاف بعد سبعة أسابيع!

ـ كان الزفاف بعد سبعة أسابيع. فحالما أرى رالف سأقول له إنني غيرت رأيي!

فشهق والدها بخشونة:

ـ لا لن تغيريه.

ـ لا أحبه يا أبي! أكنت تعلم أنه كان يضرب زوجته الأخيرة؟

ـ أهو هارفي من أخبرك؟

ـ هل هذا صحيح؟

ـ إشاعات يا جاكلين... مجرد إشاعات.

ـ صحيح؟... لا أظن هذا... لقد قال بول...

قاطعها:

ـ صحيح... بول! منذ متى تعرفينه بحق الله؟

ـ وماذا يهمك من هذا؟ أنت لم تجب عن سؤالي بعد بشأن رالف.

ـ حسناً... حسناً... كان هو وزوجته يتجادلان كثيراً، وربما ضربها مرة أو مرتين، لا أذكر. لكنك لست مثلها...

جاء دورها للمقاطعة:

ـ وأعتقد أن هذا يجعل الأمر مختلفاً... كم من الوقت تعتقدني سأستمر في الدفاع عن نفسي أمام رجل قوي مثل رالف؟

ـ لم يكن الأمر هكذا، كانا يتجادلان كثيراً، وكانت هي في أغلب الأحيان تجره إلى الجدال... لكنك لست مثلها... أنت أكثر منها نضجاً.

ـ ما أروع قولك!

ـ جاكلين...

ـ لا تقل لي إنني مصابة بتوتر يسبق الزفاف!

وقفت بشراسة... كان ضعفها يتناقض تماماً مع عنف قسماتها:

ـ أنا لست متوترة الأعصاب بشأن زواجي منه... والسبب

بسيط... لا زواج!

رد والدها هدوء:

- أنت مضطرة للزواج منه جاكلين.

- ماذا تعني؟

- ما قلته تماماً.

- يجب... أن أتزوج منه؟

فتنهد:

- أجل... إلا إذا أردت رؤيتي مدمراً.

- لا تكن سخيفاً أبي! لا بأس بفضيحة صغيرة بشأن فسخ الخطوبة. وهي ستكون صعبة قليلاً مع رالف لكنها لن تدوم إلا فترة قصيرة... فمع الوقت... سيكون...

- رالف لديه القدرة على تدميري جاكلين.

أبقى نظره منخفضاً، وصوته أيضاً، غير قادر على النظر إليها، فتنفست عميقاً... وهمست:

- كيف؟

- منذ بضعة أشهر قبلت صفقة خاسرة... فاستدنت بعض المال من المصارف لأغطي خسارتي أمام «فيرال كوربريشن».

«فيرال» اسم مأخوذ من أحرف اسميهما فيليب ورالف وهي الشركة التي تدير كل أعمال الاستثمارات الأخرى لهما. لكن جاكلين تعرف أن لكل منهما مصالحه وأعماله الخاصة، ومن المتفق عليه أن لا تدخل الشركة الرئيسية «فيرال كوربريشن» في الأعمال الخاصة... ويبدو أن والدها قد كسر هذه القاعدة.

- هكذا إذن... أنت تريدني أن أتزوجه كي لا يقاضيك؟

- لا أظنه سيفعل! إنما فضيحة خداعي لشريكي قد تقضي علي... لكنك بدوت دائماً مولعة به ولولا ذلك لما شجعت سير الأمور بينكما.

فردت بمرارة:

- أما كنت ستشجعني؟

احمّر وجهه:

- بالطبع لا... لم يجبرك أحد على هذا الزواج... بل بدوت وكأنك تعتبرينه كل ما تريدينه.

- أنت لم تشجعه يا أبي، لكنك لم تقف في وجهه... كل ذلك الكلام عن روعته وعن الاعتناء الذي سيغدقه علي...

تساءل ما إذا كان قد ردد مثل هذا الهراء أمام زوجته السابقة... وانظر مدى صحة الكلام بالنسبة لها.

- ما كانا على وئام... هذا كل شيء!

- هذا رأيك... يا إلهي كيف يمكنك أن تفكر بتزويجي من وحش كهذا.

- وهل أظهر لك يوما دليلاً على العنف.

- لا... ولكن...

- إذن ثقي بحكمك الخاص لا بما يقوله الناس... يجب أن تتزوجيه، إنه يريدك... ولديه الوسائل لفرض الأمر علينا... إلا إذا أردت أن تريني مدمراً؟

- لا... لا أرغب في هذا، وأنت تعلم... لكن...

- الوقت الذي أمضيته مع هارفي ليس خطيراً.

- وكيف تتأكد من هذا؟

ـ الأمر واضح... أنت لا تكادين تعرفينه.

ـ أعرفه ما يكفي، وأعرفه جيداً كي أحبه! لقد كنا وحدنا فترة اسبوع يا أبي... ألا يوحي لك هذا بشيء؟

بدا شاحباً:

ـ تعنين أنكما كنتما...

فردت ببرود:

ـ عاشقين؟ وماذا لو كان؟ أتعتقد رالف سيقبل بهذا؟

بدت القساوة المرة على وجه والدها:

ـ لا أصدقك... ربما أقمت معه، لكنني لا أصدق أن شيئاً جرى بينكما.

فهزت كتفيها:

ـ اسأل جاسوسيك الحقيرين... اللذين سيخبرانك انه لم يكن هناك سوى سرير واحد في غرفة نوم وحيدة في ذلك الكوخ.

ـ إذن كنت تنامين في الطابق السفلي، أو هو نام هناك لا يهم أيكما.

فردت عليه ببرود وهدوء:

ـ بل نمنا في غرفة النوم.

فشهق:

ـ لا...!

ـ بلى... ما رأيك بردة فعل رالف عندما يعرف أنني كنت في إجازة في البراري مع بول هارفي؟

ـ حسناً... بما أنه يعرف أنك سافرت إلى عمتك دوريس

لإراحة أعصابك، فسيجد كلامك صعب التصديق.

ـ هل يعتقد... رالف... انني... عند عمتي؟

ـ كان علي قول شيء له عندما اختفيت.

ـ ألم تكن الحقيقة أفضل؟

ـ مطلقاً...! يكفي أنني عانيت الأمرّين لأفتش عنك... ويكفي انني استطعت اقناعه بعدم الاتصال بدوريس.

قالت بسخرية لاذعة:

ـ ومتى يتوقع عودتي من زيارة عمتي؟

ـ أعلمته بأنك قادمة حالما اتصل فرانك وبات قائلين انهما وجداك.

ـ ومن المفترض أن أمثل دور الخطيبة المشتاقة؟ اتوسل إليه ليسامحني لأنني فتاة بلهاء صغيرة؟ لن أفعل هذا... لن أتزوجه... فأنا أحب بول.

ـ لا يمكنك هذا، أنا لم أسمعك تتحدثين عنه من قبل.

ـ من الصعب أن أتكلم مع والدي عن حبيب سرّي.

ـ ستتزوجين رالف رغم أنفك... وإلا... سوف... سوف...

فتحدته جاكلين:

ـ نعم؟ ماذا ستفعل؟ لا يمكنك المساس ببول مطلقاً. وأنا لن أقبل بأن تجبرني على الزواج من شخص لا أحبه... وإن لأنقذك.

ـ متى كان بول هارفي بعيداً عن المسّ؟ أنا أعرف مكانه الحالي.

نظرت إليه بحدة:

ـ أتعرف؟

ـ طبعاً إنه في ريف كويبيك.

فضحكت:

ـ لا بد أنه رحل الآن. فليس غبياً ليبقى هناك.

ـ لا... إنه ما يزال فيه... فلديّ من يراقبه منذ أن عاد إلى الكوخ بعد خمس دقائق من رحيلك.

خمس دقائق... تأخر عليها خمس دقائق! لكنه لا يزال هناك. ليتها تستطيع العودة إليه...

قطع والدها عليها أفكارها:

ـ لا جاكلين... لن تعودي إليه.

ـ لكن إذا كان ما يزال هناك...

ـ لا أريد أن أكون قاسياً معك... لكن...

فصاحت به متحدية بشراسة:

ـ اوه... هيا كن قاسياً... بكل ترحاب كن قاسياً.

ـ هارفي لم يغادر الكوخ... لأنه لسبب ما يعتقد أنك لن تكشفي مكان وجوده للصحافة... وإذا نشرت قصة عنه غداً في الصحف، فسيستنتج أنك الفاعل... ألا تظنين هذا؟

في هذه المرة شحب وجه جاكلين:

ـ لن تفعل!

ـ قلت لك انني سأكون قاسياً.

ـ لعبتك قذرة. لن تفعل بي هذا؟

ـ أنا مضطر يا طفلتي... لن تكون حياتك مع رالف سيئة.

أعدك بهذا... لن يؤذيك مطلقاً.

ـ جسدياً ربما لن يؤذيني... لكن ماذا عن الأذى النفسي؟ بم سأشعر به وأنا أعيش مع رجل لا أحبه؟

فسألها بقساوة:

ـ وهل يريد هارفي الزواج منك؟

ـ كلامك جارح...

ـ لن أكون لطيفاً... سأقبل ما جرى بينكما كما هو.

ـ وماذا كان؟

ـ آسف حبيبتي... أنا على يقين أنك لا تعنين شيئاً لهارفي... فلستِ بالنسبة له أكثر من علاقة عابرة. لذا عليك نسيانه.

ـ وعلي الزواج برالف؟

ـ أجل.

ـ سأخلد إلى النوم أبي.

ـ ورالف... هل سيتم الزواج؟

ـ لست أدري... فأنا مشوشة التفكير... ستعرف قراري في الصباح.

ما هذا الذي يحدث لها... لولا سفرها ولقاؤها ببول لتزوجت رالف بكل سعادة! اوه... انها تزداد توتراً... ولكن هذا صحيح... كانت ستتزوجه لولا بول وها هي الآن رغم حبها له ستضطر للزواج برالف.

صباحاً عند الفطور سألها والدها:

ـ تعرفين جيداً ما سأسألك عنه. يا إلهي يا فتاتي... لم

أذق النوم ليلة أمس بسبب قلقي بشأن قرارك.

بدا عليه الشحوب فعلاً، لكنها أصرّت على البقاء قاسية:

ـ وهل من المفترض أن أشعر بالأسى عليك؟

ـ ماذا قررت؟

فوقفت:

ـ ما قررت يجب أن أقوله أولاً لرالف.

ـ لكن...

ـ آسفة أبي... هذا ما أريده...

وصل رالف بعد العاشرة بقليل، أنيقاً، واثقاً من نفسه كالعادة. فانحنى يقبّل جاكلين على وجنتيها:

ـ حبيبتي!

فردت ببرود:

ـ رالف... تبدو بخير.

لف ذراعه على كتفيها.

ـ وأنت كذلك... الأيام التي قضيتها عند عمتك أفادتك.

ـ شكراً لك... هل تسمح بتركنا يا أبي؟

ـ لكن...

ـ تبدو فكرة جيدة فيليب. لديّ وجاكلين بعض الحديث.

التقط والدها الجريدة وتركهما مرغماً. فابتسم رالف:

ـ حسناً جاكلين... ماذا...

ـ قبل أن تكمل... يجب أن تعلم أن والدي استدان بعض المال من المؤسسة.

لم يظهر تأثراً.

ـ أجل؟

فأعجبت جاكلين بهدوئه، وبثقته من نفسه فقالت:

ـ لا تبدو دهشاً.

ـ لا... فقد اكتشفت الأمر منذ أشهر... لكن بما أنك ستكونين زوجتي...

ـ أعتقد أن أبي وافق على زواجنا بسبب هذا المال.

ـ لست دهشاً! لن يكون ذلك رجل الأعمال الذي أعرف إن لم يفعل.

ـ وأنا ما زلت على استعداد للزواج منك...

فقاطعها ساخراً:

ـ ما ألطفك!

ـ لكنني أريد منك تعهداً خطياً بنسيان ديون أبي، وبعدم الاتيان على ذكرها ثانية.

حبست أنفاسها انتظاراً للرد. فمد يده إلى جيب قميصه ليخرج علبة السيجار الذهبية، فتناول منها سيكاراً فضياً وأشعله، فانتشرت رائحة التبغ في الغرفة. ثم جلس:

ـ ولماذا تريدينها خطية؟

ـ لأنني لا أريد أن يكون هذا الأمر مسلطاً كالسيف على رأسي. والزواج لن ينجح إلا إذا قام على التساوي بيننا.

صمت فترة طويلة، يحدق مفكراً خارج النافذة، وأخيراً استدار إليها:

ـ ماذا إن لم أوافق؟

ـ لن أتزوجك!

ـ أتعنين هذا حقاً؟

فردت بحزم:

ـ أجل.

ـ حسناً... أوافق على هذا... فالأمر منسي بالنسبة لي.

ـ ومتى سأحصل على الموافقة الخطية؟

ـ يوم الزفاف.

ـ اوه...

فابتسم ووقف ليقترب منها:

ـ هذا كلام في الأعمال، وأنت تتعلمين بسرعة لكنني كنت أعقد الصفقات خلال خمس وعشرين سنة. ولم يحدث أن ارتكبت أي غلطة... والآن... أريد أن أتزوجك... وان أرعاك... فهل تقطعين لي وعداً بالزواج مني؟

ـ وعد؟

فابتسم:

ـ أعرف أنك لا تنكثين بوعدك أبداً.

ما أغرب أن يثق بها رالف بهذه السرعة.

ـ أعدك... هل نتصافح على هذا الاتفاق الآن؟

فضحك:

ـ لا... فهناك وسائل أخرى لتثبيت اتفاق مع امرأة جميلة.

مد يده ليجذبها على قدميها ويعانقها... في تلك اللحظة انفتح باب المكتبة فخرج منه والدها قائلاً:

ـ رالف... اوه! أنا آسف...

فنظر إليه رالف نافذ الصبر.

ـ ألن تتعلم قرع الباب فيليب؟

ـ ظننتك مضيت.

ـ لا... كنت وجاكلين نبحث ترتيبات الزفاف... صح؟

فابتسمت شاكرة له عدم كشفه معرفته بدين والدها:

ـ صح.

بدا الذهول على والدها، ونظر إليها بارتباك:

ـ أكل شيء... على ما يرام...؟

ـ كل شيء يا أبي... فرحلتي الأخيرة، أعطتني الفرصة للتفكير، بعيداً عن ضغط الزفاف.

عندها ظهر الارتياح على والدها:

ـ جيد... جيد... انتن النساء... تعقدن كل الأمور.

فرد رالف وهو يقبل شعر جاكلين:

ـ حسناً، لقد فككنا العقد... أليس كذلك حبيبتي؟ ماذا أرى في يدك فيليب... صحيفة «الصنداي بلانت»؟ متى كنت تقرأ جريدة تنافس جريدتنا؟

ـ أنا أقرأ دائماً الجرائد المنافسة. يبدو اننا خسرنا قصة هامة...

نظر إلى جاكلين وهو يتكلم. فسأله رالف:

ـ أهي قصة بول هارفي؟

ـ ألم ترها؟

ـ لا... لكنني سمعت بعض الهمس.

فشحب لون جاكلين:

ـ أية قصة عن بول هارفي؟

فنظر إليها رالف:

ـ لا تقولي إنه يعجبك؟ فأنا لا أستطيع سماع اسمه.

ـ لكنه يعجبني. دعني أرى المقال.

ـ أستطيع إخبارك ما يقول. هارفي قد عاد إلى العلن... يبدو أنه كان يعدّ ألحاناً جديدة خلال السنة المنصرمة... لقد عاد، وسيبدأ نشاطه بحفلة في قاعة المعرض الدولي في الشهر القادم.

أخذت جاكلين الجريدة من يد والدها، وابتعدت عن الرجلين، خافقة القلب. كانت صورة بول في الصفحة الأولى... بول الذي أحبته... الرجل الأشعث الشعر، النحيل، الذي عرفته في ريف كويبيك...

لقد عاد... عاد إلى مونتريال.

• • •

٥ ـ المفاجأة

ماذا تفعل هنا؟ بل ماذا كانت تفعل هنا أيام الأسبوع المنصرمة كلها؟

لقد علمت من الصحف أن بول سيتمرن على الحفلة حيث ستقام وهذا هو سبب وجودها أمام قاعة المعرض الدولي... لكن بول إلى الآن لم يظهر بعد... وها هي الحفلة غداً.

الساعة الآن السادسة والنصف... ارتدت على عقبيها يائسة. فهو لن يصل بعد هذه الساعة، ومن الخير أن تعود أدراجها. فما الفائدة من الانتظار! أو من لقائه؟ فماذا عندها ستقول له؟ بل ماذا سيقول لها؟

ـ جاكلين!

رفعت عينيها الخضراوين في وجهها الشاحب، فأحست بجفاف ومرارة في فمها... كانت غارقة في تفكير عميق فلم تنتبه له وهو يتوجه نحوها...

ـ بول! (صاحت بصوت مخنوق).

بدا مختلفاً. بثيابه الجديدة... ففي الكوخ كان رثاً أشعث كالشيطان... والآن هو أنيق. مسرّح الشعر يرتدي بزة فاخرة. لكن الضراوة المتوحشة ما زالت فيه، في عينيه وشفتيه اللتين

فراشة الحبة
www.liilas.com

التوتا الآن بابتسامة:

ـ ومن كنت تتوقعين سواي؟

هزت جاكلين رأسها كالبلهاء، وقالت دون أن تعي ما تقول:

ـ أتوقع؟

أمسك بمرفقها، يقودها إلى السيارة التي ظهرت أمامهما. وجلس في المقعد الخلفي قربها ليعطي تعليماته للسائق، ثم راحت عيناه الرماديتان تحدقان فيها بينما راح الزجاج الفاصل بين المقعد الأمامي والخلفي يقفل، ليعطيهما خلوة تامة.

ـ من يا ترى ستنتظرينه خمسة أيام سواي؟

فشهقت دهشة:

ـ كنت تعلم أنني هنا؟

ـ منذ اليوم الأول...

ـ لكن... لماذا؟

فضحك بخشونة:

ـ أنت تسألين هذا؟ لقد أفسدت كل شيء علي يا فتاة. أجبرتني على العودة إلى هذه الحياة قبل أن أكون مستعداً لها بعد. اوه... ليس لأنني لا أتمتع بها... فصحبة النساء وفيرة، بل أكثر مما كانت عليه من ذي قبل.

فاحمرّ وجهها ونظرت إلى الخارج:

ـ وأنا واثقة أن هذا يقلقك!

فضحك:

ـ بالفعل. لن أستطيع الوفاء بكل العروض المقدّمة إلي من

الشقراوات الكثيرات... فأنا أعرف حدودي.

ـ لم أكن أعلم أن لك حدوداً.

فهز كتفيه دون اكتراث:

ـ امرأة كل ليلة تكفيني.

مد يده فجأة ليمسك بيدها فإذا الخاتم الألماسي الضخم في إصبعها الثالث حيث هو.

ـ أيكفيك رجل واحد الآن؟

نزعت يدها منه:

ـ أكرهك!

ـ أنا واثق من هذا. لقد أفسدت عليك قصتك الكبيرة بظهوري العلني؟ علمت لحظة رحيلك أن عليّ التحرك بسرعة... فاضطررت إلى انهاء الحاني خلال وقت قصير، مع أن الكثير منها منجز. كنت دائماً أخطط للرجوع... لكنني كنت مصمماً على الراحة لأن الدعاية بعد الحادثة أسقمتني... لذا لم أنوِ البقاء هناك إلى الأبد.

ـ وهل كنت تنوي الرجوع؟

ـ أجل... لكن عندما أختار أنا... أتعلمين؟ كنت قد بدأت أثق بك لكنك رحلت.

ـ أتظنني رحلت لأنني أردت الرحيل؟

ـ لماذا إذن؟ ففي المرة الأولى التي أتركك فيها وحدك تختفين. طبعاً بعد أن قلبت منزلي رأساً على عقب. لو وجدتك ذلك اليوم لضربتك.

ـ لكن...

وتوقفت السيارة، فدفعها بول إلى الرصيف:

- انتظري ريثما ندخل.

- أين نحن؟

- وأين تظنين؟

كانت الشقة كل ما يجب أن تكون عليه شقة، كبيرة، فخمة، فاخرة الأثاث... لكنها تخلو من دفء البيت...

- ابليس!

وأسرعت نحوه... عند أول صيحة منها فتح القط عينيه وقفز عن المقعد، يموء بصوت مرتفع، يدير رأسه بين يديها وهي تداعبه. واختنق صوتها «اوه... ابليس» فرفعته بين ذراعيها لتتلمس فروه الأسود اللماع بوجنتيها. وسألت بول والدموع تملأ عينيها:

- لقد أحضرته معك!

- هذا واضح!

- لكنك قلت إنه ملك الكوخ ويجب أن يبقى فيه.

فضحك:

- لم يشأ البقاء هناك... خاصة بعد رحيلك... لقد افتقدك كثيراً.

- وأنا افتقدته.

- هذا ما أراه الآن. أحضرته معي... لكن المشكلة إنه يكره الإقامة هنا.

- بالطبع يكرهها... إنه بحاجة للسكن في منزل... في مكان ما في الريف.

- أعرف هذا... لكن ليس لدي وقت لأفتش عن منزل كهذا.

- ربما أستطيع.

صمتت تعض على شفتها السفلى حتى كادت تدميها.

- ربما تستطيعين ماذا؟ لا تقولي إنك ستعرضين علي البحث عن منزل؟

فارتفع رأسها بكبرياء:

- قلت ان لا وقت لديك.

- سأجد الوقت.

- متى؟

- حالما استطيع.

- هذا لا يجدي... ابليس بحاجة إلى الهواء الطلق إلى التجول بحرية...

- ومتى الزواج... بعد اسبوع كما أعتقد؟

- أجل... لن ننتقل إلى منزل، لأنني أجد السكن في شقة أفضل لي.

- ربما أفضل له... لكن ما رأيك أنت؟

- سيناسبني السكن فيها.

- وهل ستتابعين العمل بعد الزواج؟

- العمل؟... لكنني... لا... لا... لن أعمل.

- ومتى ستعيدين إليّ ما أخذت من الكوخ؟

- ما أخذته؟ لم آخذ شيئاً منه؟

- رسائل... وصور... وبعض الأوراق الموسيقية.

فرانك! ذلك الرجل فرانك، لقد بقي وحده في الكوخ عدة دقائق أثناء وجودها في السيارة وقد وضع شيئاً في صندوق السيارة، أعتقدته أغراضها، لكنها عرفت الآن أنّ هناك أشياء أخرى وبول يظنها هي الفاعلة! قالت له بعد أن جلست:

ـ إنها ليست معي.

ـ هذا ما ظننته. أهي في الصحيفة؟ لكن إذا ظهرت إحدى هذه الرسائل أو الصور في أية صحيفة... فسأقاضيك... أعلمي خطيبك بهذا.

نظرت إليه متوسلة وهي تجلس:

ـ بول... أنا... أنا لم آخذها. لقد جاء رجلان إلى الكوخ... و...

جلس أيضاً:

ـ اوه... بلى... أعتقدهما خطفاك؟

ـ تقريباً... أترى...

ـ ما زلت بارعة في التمثيل. لكن من حسن الحظ أنني ما زلت منيعاً ضده. في الريف كنت أجد شعرك الأشقر وعينيك الخضراوين جذابين أما الآن فثمة كثيرات يملكن ما تملكينه وهن أيضاً يعرضن بسخاء ما عرضته عليّ. لذا فأنت لا تستحقين ما قد ينتج عنك من مشاكل... والآن... أريد استعادة أغراضي... إنها اشياء خاصة... لن تهم عيني صائدة قصص مثلك.

ـ أرجوك... بول.

ـ أريد استرجاعها جاكلين. لولاها لما كلمتك. فأنا لست

معتاداً على مصادقة اللصوص.

نظرت إليه بحدة وقالت بغضب:

ـ لم أسرق أغراضك... هل الرسائل من ساليا ويلبي؟

فأخفض أنفه المتعجرف نحوها.

ـ وإذا كانت كذلك؟

ـ رسائل غرام؟

ـ يجب أن تعرفي... لقد قرأتها. أنت ونصف دزينة من الناس غيرك.

ـ ليست معي... لكنني أعرف مع مَن هي.

ـ حسناً؟

ـ ذانك الرجلان اللذان أتيا إلى الكوخ... أخذاها... والآن لا أعرف أين هي...

ـ لا تكذبي عليّ جاكلين!

مد يده إليها فجذبها لتقف على قدميها ثم غرز أصابعه في ذراعها فإذا به يصيح.

ـ آوتش...!

سحب يده بسرعة بعد أن أذته مخالب ابليس... ثم مد يده فامتصّ الدم من الجرح:

ـ يا إلهي! ما كنت لأؤذيها أيها الغبي!

كبحت جاكلين ابتسامة، متذكرة عدم اكتراثه عندما أصابها الشيء نفسه... وقالت ببرود:

ـ كان يحميني... هذا كل شيء.

ـ كان عليه أن يحميني أنا.

ارتد على عقبيه ليفتح باب غرفة أخرى، فلحقت به، فإذا به يخرج زجاجة من خزانة الحمام... فسألته تتظاهر بالبراءة:

ـ ماذا تفعل؟

ـ أضع مطهراً.

ـ لكن القطط نظيفة جداً.

ـ أمر مضحك... لكنها تؤلم!

ـ أعلم هذا!

لم تستطع اخفاء تسليتها، خاصة عند سماع مواء ابليس خلفها.

ـ حسناً... حسناً... كان عليَّ أن أكون أكثر تعاطفاً معك... فذلك القط شرير!

ـ إنه فقط لم يحب رؤيتك تهاجمني.

ـ لم أكن أهاجمك. لقد سئمت تمثيلك... صدقيني كل هذا لا يستاهل أن تكوني السيدة رالف وست.

ومات مرحها فوراً، وأظلمت عيناها فقالت بصوت أجش:

ـ سأجد الرجلين وعندها سأعيد إليك أغراضك. اعتنِ بإبليس لأجلي.

فحدق فيها متفرساً:

ـ جاكلين... هل أنت خائفة من وست؟

فابتسمت مدعية المرح:

ـ لا... بالطبع لا.

ـ هذان الرجلان... أهو من بعثهما ليبحثا عنك؟

ـ لا... أنا آسفة لأنهما سرقا أغراضك. لكنني واثقة أن

هذا لم يكن يفترض أن يحدث.

ـ أتعنين حقاً أن هناك رجلين؟

ـ أتذكر الرجلين اللذين ظننتهما منجذبين إليّ في الفندق؟

ـ هما؟... لا عجب أنهما لم يشيحا نظرهما عنك. لكن إذا لم يكن وست أرسلهما... فمن؟

ـ يجب أن أذهب الآن... يتوقعون وصولي عند العشاء.

ـ أين؟

ـ في منزلنا.

ـ مع وست؟

ـ نحن لم نتزوج بعد.

ـ وهل يمنع ذلك اتصالكما؟

ـ طبعاً... والآن يجب أن أذهب... سأخبرك لاحقاً عن أغراضك المسروقة.

فأمسك ذراعها... ثم التفت إلى القط الذي أوشك على الانقضاض عليه ثانية.

ـ لا... ابليس... ابعدي عني حاميك... ارجوك.

مسحت جاكلين الفرو الأسود، فأحست بالتوتر يزول عنه فابتسمت لبول:

ـ أظنه على ما يرام الآن.

ـ هذا القط يعبدك. أعتقد أن عليك أخذه... هل يحب وست القطط؟

ـ لست أدري... لم أسأله.

ـ لا أظن الفكرة جيدة، فإذا كان يعامل المرأة بقساوة

فكيف سيعامل حيواناً... إذا كنت غير عائدة إليه الآن... فإلى من؟

لم ترغب في أن تذكر أباها بعد:

- ربما أعيش وحدي.

- لكنك قلت إنهم يتوقعون عودتك.

- أعيش مع والدي... هل هذا محترم بنظرك؟

- هذا يتوقف...

- على ماذا؟

- على من هوالدك.

- انه والدي... حظاً موفقاً لحفلة الغد.

- ألن تحضريها؟

- وهل تمزح؟ البطاقات نادرة.

- لكنني استطيع ادخالك، إن أردت المجيء...

- لا!... أنا... أنا... لا أظن... أن رالف...

فرد بخشونة:

- دعوتي لن تشمله.

- لن يدعني أذهب بدونه.

- ربما أنت على حق بشأن رفضك الذهاب معه، فهو كبير قليلاً على هذا النوع من الحفلات... حسناً... جاكلين... سأترقب سماع أخبارك.

ارتفع حاجبا والدها وهي تطلب منه عناوين فرانك وبات...

- لماذا بالله عليك... لماذا تريدينها؟

- أنت تعلم السبب... ليس من حقك سرقة شيء يملكه بول! وهما يعملان عندك. وأنت من يستطيع ارجاع المسروقات.

- أية مسروقات؟

- لا تتظاهر... لقد تجاوزنا حد الادعاءات... بول يريد ما سرق من كوخه... وأنا سأعمل جاهدة حتى تُردَّ إليه.

- وهل رأيت هارفي؟

- أجل...

- لو علم رالف...

- لن يعلم.

- ألا يمكنك الابتعاد عنه؟ يا إلهي يا فتاة... ألا تدركين المخاطر؟

- لا تقلق، فسمعتك ستبقى سالمة... ما أن أضع خاتم زواجي من رالف في يدي حتى تتمكن من التنفس بحرية.

- ليتك تفهمين... لا... لا يمكنك... لكنني أفعل ما أراه الأفضل لك جاكلين... وأتمنى أن لا تشعري بهذه المرارة.

- لن يكون ذلك... لكنك سترد تلك الأشياء... بول يظنني السارقة...

- قولي ما هي... وسأفعل جهدي.

- أتعني أنك حقاً لا تعرف؟ لكنهما يعملان عندك؟

- كل ما طلبته منهما هو إرجاعك، إذ لم يكن يهمني شيء آخر.

ـ إذن أظن أن عليك التحدث مع المدعو فرانك... فقد أحضر من الكوخ شيئاً آخر غيري.

ـ هكذا إذن... سأرى ما أفعل.

بعد ظهر اليوم التالي، اخرجهارالف ليشتري لها فستاناً جديداً شارحاً لها:

ـ سأصحبك إلى مكان مميز الليلة.

فسألته بفتور وهي تتمنى الذهاب إلى حفلة بول:

ـ إلى أين؟

ـ انتظري لتري! جربي الفستان الأخضر.

كان غالباً، هو من ينتقي ثيابها، فله ذوق رائع. وتساءلت عما إذا كان قد اكتسب خبرته من انتقاء ثياب زوجتيه السابقيتن... جربت الفستان بشكل آلي. وهي تعلم أن طرازه الضيق يناسبها، كان يصل إلى ركبتيها مظهراً بذلك جمال ساقيها وكاحليها الصغيرين... ليتها ترتديه من أجل بول! لكن ماذا يهم بعد الآن... إنها لم تعد تهتم بشيء... بعد اسبوع ستكون زوجة رالف، وعندها سيكون من حقه انتقاء ملابسها.

لم تستطع التوقف عن التفكير ببول، ماذا يفعل، من معه الآن مِن النساء. هل هي جميلة؟ سوداء الشعر زرقاء العينين كعيني ساليا ويلبي، أم حمراء الشعر، أو ربما شقراء مثلها؟ أجل... لا بد ان تكون شقراء، لقد قال آن لديه ضعفاً أمامهن!

ـ جاكلين!

أجبرت نفسها على الابتسام له:

ـ آسفة... كنت أفكر في المكان المميز الذي ستصحبني إليه الليلة.

ـ ستتمتعين... لا تفكري إلا بزواجنا بعد أسبوع.

لكن ماتحاول فعله هو العكس فمشاعرها فيما يتعلق بالزفاف مفقودة... لكن لو كان العريس بول...

ـ جاكلين؟

احتدّت لهجته وهو يناديها:

ـ أنا... آسفة...

ـ تعيدين النظر في الأمر مرة أخرى؟

ـ لا... طبعاً لا...

امتدت يده تغطي يدها المستقرة في حجرها:

ـ أواثقة أنت؟

لم تستطع رفع بصرها إليه...

ـ أجل. (تمتمت).

ـ حسناً. سأصحبك عند السابعة. لتتناول عشاءً مبكراً... حتى نكون في المكان المميز عند الثامنة والنصف.

ثم أوصلها إلى منزلها قبل العودة إلى شقته ليغير ثيابه. كان والدها في المنزل حينما وصلت... ودون أن يتفوه بكلمة، أعطاها مغلفاً سميكاً، نظرت إلى داخله... فإذا فيه رسائل وصور وأوراق... فبرقت عيناها:

ـ لقد استعدتها!

ـ بعد جهد... فرانك لم يسرّ بإعادتها.

ـ أواثق أنها كلها هنا؟

ـ هكذا قال.

ـ ولكن هل هذا صحيح؟

ـ هارفي وحده يمكنه الجزم.

ـ أجل... أجل... هذا صحيح.

هذا المغلف سيعطيها عذراً لمشاهدته، لكن أهي بحاجة لعذر...

قال لها أبوها ناصحاً:

ـ أعيديه بريدياً.

ـ لا أعرف عنوانه... لكنني أعرف شقته.

ـ أنا واثق أنني قادر على إيجاد العنوان لك.

ـ لا...! سأوصلها أنا إليه.

ـ وهل ستستمر علاقتك معه؟

احمر وجهها وهي ترد متوترة:

ـ لم يكن بيننا علاقة.

ـ هل كنت تكذبين بشأن النوم معه؟

فتنهدت:

ـ لم أقل قط انني نمت معه. قلت لك انني شاركته غرفة النوم وهذا كل ما فعلناه.

ـ حسناً... سأكون ملعوناً!

ـ على الأرجح نعم بل على الأرجح أننا ملعونان معاً. أنا لزواجي من رجل لا أحبه... وأنت لاجباري على هذا الزواج.

ـ جاكلين... إذا كنت حقاً لا تريدين الزواج منه، فأنا متأكد أنك ستفعلين شيئاً. لكنني أظنك سعيدة معه. إنه قوي

يمكن الاعتماد عليه. مستقبلك معه مؤمن... لكن إذا كنت حقاً لا تريدين... فأنا...

فأسكتته بجفاء، صارفة النظر عن الموضوع:

ـ لا يهم الآن يا أبي... يجب أن أستعد قبل أن أتأخر... هل لديك فكرة عن المكان الذي سيصحبني اليه رالف؟

ـ اطلاقاً... لكن حاولي التمتع يا طفلتي. رالف يعتقد حقاً أنك ستحبين السهرة... أينما كنت.

عندما وقع نظر رالف عليها في فستانها الجديد، قال بعد أن قبلها:

ـ أنت تكبرين يا جاكلين!

لم يكن هذا هو نوع التعليق الذي تنتظره منه... لكنه كان صدى لأفكارها... صحيح إنها تكبر... لكن عندما تبلغ الخامسة والعشرين، سيكون هو في الخمسينات...

سألته مداعبة:

ـ وهل هذا نوع من الاطراء؟

فابتسم:

ـ أنت تعلمين أنه إطراء... يجب أن نسرع فقد حجزت طاولة للعشاء في السابعة والربع.

ـ وهل ستخبرني عن مكان ذهابنا الوشيك؟

فضحك:

ـ أسحب كلامي عما قلته عن أنك كبرت. ففي هذه اللحظة ما زلت طفلة لكنك جميلة، وأنا فخور بك.

عضت لسانها لئلا يتفوه برد سريع... إنها شاكرة له احترام

مشاعر أبيها. لكن هل يعلم أنها لولا أبوها وتهديده المتعلق ببول لما كانت ستتزوجه إطلاقاً. ربما هو على الأرجح يعرف لكنه اختار تجاهل الأمر. وأعادت السؤال عليه:

ـ أنت لم تجبني عن سؤالي بعد.

ـ صحيح... لم أجب عنه... حسناً... لقد قلت لي ذلك اليوم انك معجبة ببول هارفي... مع أنني لا أطيقه، فقد أردت أن أسعدك.

فشحب وجه جاكلين:

ـ أنت لم...؟

فرد بلهجة الانتصار:

ـ بل فعلت... لقد حجزت أفضل مقعدين في القاعة. كما...

وصمت قليلاً ليزيد من تأثير كلامه:

ـ حجزت دعوة لنا للحفلة التي ستقام فيما بعد على شرف هارفي. فما رأيك في هذا؟

● ● ●

٦ ـ أمواج الرفض المستحيل

عندما أزف الموعد، كادت ترتد على عقبيها هاربة. لكن وجود رالف أوقفها مكانها. كانت القاعة ضخمة... ليست بحجم أي مكان تعرفه. لذا كان قرب مقعديهما من المسرح الذي سيخطو فوقه بول بعد قليل، صدمة لها. كانا على بعد أمتار منه!

فراشة المحبة

عندما اطفئت الأنوار أخيراً، وشرعت الفرقة الموسيقية بالعزف ظنت جاكلين نفسها ستفقد الوعي. ثم دخل بول المسرح ليقف أمامها مباشرة... ابتسامته المذهلة تأسر كل أنثى في القاعة... بما فيهن جاكلين.

www.liilas.com

نقلت الحفلة إلى شاشة التلفزيون... ووقف بول يحمل الغيتار ليعزف للنظارة أمامه... مُسكتاً الأوركسترا بعد هدوء عاصفة التصفيق. ثم طفِق يغني أغنيات الحب الناعمة التي أوصلته إلى القمة منذ سنتين.

تسمرت جاكلين في مكانها منذ بدء الأغنية الأولى... تجلس دون حراك بينما كان النظارة يصفقون له ويحيونه... كل ما كانت قادرة على القيام به هو التفكير بعظمته وروعته التي تظهر بوضوح وهو يرتدي بذلته السوداء وقميصه الأبيض،

وربطته الصغيرة السوداء.

عندما انتهى من الأغنيات الغرامية الناعمة، تحول إلى أغنيات منوعة جعلت النظارة في وقت قصير يشاركونه الغناء والتصفيق وصيحات الاستحسان. لكن جاكلين كانت صامتة خلال هذا كله، لم تكن تعي شيئاً حتى كلمات رالف. فعيناها وأذناها لبول فقط. وعندما حان وقت الاستراحة، مرت دقائق قبل أن تعيها... فقال رالف:

ـ لم أكن أعرف أنك معجبة به لهذه الدرجة.

فأجفلت لتعود إلى واقعها:

ـ آسفة... لم...

ـ لقد كنت ضائعة عني خلال الساعة الأخيرة.

ـ آسفة... ألم يكن رائعاً؟

ـ بلى جداً... سررت بتمتعك. هل تحبين الخروج قليلاً؟

ـ لا... أعتقد أنني سأبقى هنا.

ـ حسناً سأعود بعد قليل (قال رالف ثم مضى).

لم تكن واثقة أن قدميها ستحملانها. وأحست بأنها معرضة لكل أنواع المخاطر عند ذهابه. وهذا ما كان فبعد أن ابتعد رالف قفزت مذعورة ذلك أنها شعرت بيد أحدهم تلامس كتفها. التفتت إلى الرجل فإذا هو العامل في القاعة:

ـ آنسة برايس؟

ـ نعم؟

ـ لقد طُلب مني أن أسلمك هذا.

سلّمها ورقة صغيرة مطوية... بول! هذه الورقة من بول!

فتحت الورقة المربعة بأصابع مرتجفة. كانت الرسالة قصيرة وموجزة... إنه يريد أن يراها خلف المسرح...

سمعت الرجل يقول:

ـ عليك مرافقتي آنسة برايس... هذا إذا رغبت.

فوقفت تتبعه على غير إرادة منها فإذا بها تقف خارج باب، وإذا بالرجل يقول لها:

ـ اقرعي الباب آنسة. إنه يتوقعك.

طرقتها على الباب كانت خفيفة، حتى لم تكد تُسمع. مع ذلك وقبل أن تبعد يدها، انفتح الباب... لم يكن بول أقل تأثيراً هنا عما كان في القاعة بل كان أكثر فتنة.

ـ ادخلي... ستتحدث فيما بعد جاك.

لم تنظر جاكلين إلى الرجل الآخر لأن نظرها كان مسمراً على بول. لكن جاك احتج:

ـ ليس هناك وقت فيما بعد بول... لا يمكن لك أن تقرر الغاء آخر وصلة لك بهذه الطريقة.

ـ لقد فعلت هذا... وقل لقائد الأوركسترا ألا يعزفها.

ـ لكن...

ـ قل له أن لا يعزفها. فأنا مشغول.

ودفع بالرجل المسكين بكل لطف إلى الخارج... فنظر إلى جاكلين:

ـ أمامك خمس دقائق بول. ثم يجب أن تعود إلى المسرح... أكان معك صديقة أم لم يكن.

فالتوى فم بول بسخط:

ـ الآنسة برايس ليست مجرد صديقة.

ـ وماذا عن وصلتك الأخيرة؟

ـ قلت لك... الغها.

ـ لكنها أغنيتك الجديدة.

ـ سيسمعونها إذن في الاذاعة. لن أغنيها الليلة! اخرج من هنا!

والتفت إليها بعد إقفاله الباب:

ـ والآن... ماذا تفعلين هنا الليلة؟ مع وست خاصة؟

ـ الأمر واضح... جئنا لنسمعك تغني.

ـ لكنني واثق أن وست لا يرغب في سماعي.

ـ ولكنني أرغب في ذلك.

ـ لقد قلت إنك لست قادمة.

ـ أراد رالف مفاجأتي.

ـ إنه لم يفاجأك فقط، بل صدمني بحضوركما صدمة شديدة.

ـ ومتى رأيتني؟

ـ حالما وطئت قدماي أرض المسرح. فالقليلات من النساء لهن لون شعرك الأشقر الفضي.

ـ أنت شديد الملاحظة، أما أنا فلا... لدى أشياء أهم من التفكير برجل كبير السن مثلك؟

كلماتها تعمدت أن تكون مهينة... فتقلص وجهه غضباً ولمعت عيناه بالخطر.

ـ أنا كبير السن؟... يا إلهي... وماذا عن ذلك الرجل

الذي كنت تمسكين بيديه في الساعة الأخيرة؟ فهو حقاً كبير في السن!

ـ لكن رالف ما يزال في ريعان شبابه!

ـ إنه ليس سوى عجوز قذر... أنا أكره أمثاله، وأكره الفتيات اللواتي يتورطن مع أمثاله من العجائز حتى يتقين في أحسن لباس وأعتقد أنه من اشترى لك هذا الثوب الفاخر؟ بعض الفتيات يطيب لهن أن يبعن أنفسهن... لكن الزواج ثمن باهظ، حتى لرجل مثل وست.

هو يظنها فتاة تنوي الزواج من رجل طمعاً بماله... فقالت له بحدة:

ـ وهذا ثمن أنت لست مستعداً لدفعه. ليس بعد أن قتلت المرأة التي كنت تريد الزواج منها...

نظرت إليه فإذا عاصفة من الغضب تجتاح ملامحه كلها.

ـ اوه... يا إلهي!... أنا آسفة! آسفة بول لم أكن أقصد قول هذا.

فصرخ بها آمراً ببرود جليدي:

ـ اخرجي من هنا... اخرجي!

ـ أرجوك بول... لم أكن أقصد ما قلت... أنا... اوه يا ربي، ماذا يمكنني أن أقول؟

وتدفقت الدموع من عينيها... لكنه سارع بضم قبضته إلى جانبه حتى ابيضت مفاصل اصابعه...

ـ اخرجي من هنا فقط... لقد كنت أتوقع تعليقاً لاذعاً مثل هذا منذ عودتي، لكنني لم أفكر قط أنه سيصدر عنك.

فاختنقت بدموعها:

ـ لكنني لم أقصد! بول... لم أقصد!

ارتدى سترته، ونظر إليها بعينين كقطعتي جليد:

ـ يجب أن أعود إلى المسرح. وأنصحك بالعودة إلى مقعدك. حيث سيكون وست مستعداً ليمسك يدك ثانية.

علمت جاكلين أنه يصرفها... فعادت بائسة إلى القاعة. حيث سألها رالف:

ـ أين كنت؟

ـ قررت أن أحرك ساقي... لكنني لم أجدك بين الحشد.

بدا عليه الاقتناع بردها... فجأة انفجر الحضور بالتصفيق والهتاف، وعاد بول إلى المسرح. يبتسم دون أن يظهر عليه أي شيء من غضبه الذي كان منذ دقائق. وعلمت جاكلين خلال الساعة التالية أنه ممثل ممتاز.

أخيراً اقتربت نهاية الحفل... فانطفأت الأضواء كلها إلا شعاعاً انصب فوق بول... ثم بدأ الغيتار خلفه بالعزف... عندها بدا الغضب على وجهه، فالتفتت لينظر إلى شخص ما خلف الظلام. وبما أن جاكلين كانت على علم بذاك الجدال، علمت أن مدير أعماله المدعو جاك خالف رغباته فلم يلغ الأغنية التي أراد بول الغاءها.

لكن غضب بول سرعان ما حجبه قناع هادىء، ولم يعد ظاهراً إلا لمن يعرفه أو لمن يتفرس في وجهه من النظارة في المقاعد الأمامية.

تقدم بيل من مقدمة المسرح... حيث جلس على الدرجة

الأولى من السلم في منتصف المسرح تماماً.

لم يكن بعيداً عن جاكلين أكثر من أقدام قليلة. بل على مقربة منها حتى تكاد يده تلامسها إن مدّها إليها... كم تاقت إلى أن تلمسه وكم اشتاقت إلى أن تكون قريبة منه كما كان حالهما في الكوخ... فجأة رفع رأسه، ونظر إليها مباشرة نظرة احتقار جعلتها تنكمش في مقعدها... يا إلهي! ما أشد كرهه لي!

ثم بدأ يغني... لا بل يصدح بصوت رائع لم تسمعه منه قط. صوت عميق أجش، خرجت منه كل كلمة نابعة من القلب.

في الخريف هربت مني
لملمت اضواء الشمس عني
ثم هربت مني
في الخريف رحلت
فتاة عمرها عمر الورد
فتاة لا تمسها يد
هربت مني
أحبّها؟ لا أدري
أحبها؟ بل أدري
فحبها في قلبي دائم أبدي
في الخريف رحلت عني
وتركت اشلاء مني
تموج في الأزل

تنتظر منها ضمي
فتاة الخريف لو تدري
مدى حبي... مدى حزني
فتاة الخريف لو تدري
أنها وحدها وحدها حبي

عندما احتضر النغم الأخير، ساد الجمهور صمت رهيب... ثم انفجر الصمت رعوداً من التصفيق والهتاف. ووقف الجميع... وهذا أعلى تقدير يمكن لمغني أن يحصل عليه. وبول... يستحق أكثر من هذا.

بدا متأثراً بالأغنية أكثر من جميع الحضور... فقد مضت عليه عدة دقائق يقف حيث هو قبل أن ينتبه لردة فعل النظارة. أخيراً تمكن من إسكات العاصفة:

ـ أود شكركم جميعاً على المجيء الليلة. وأشكركم على إعجابكم بأغنيتي الأخيرة، لقد كتبتها إلى فتاة مميزة جداً... فتاة لم يعد لها وجود... شكراً لكم!

تصاعدت صيحات الجمهور مطالبة بالمزيد، بعد انحناء تلو انحناء، رضخ بول، وغنى أغنية أخرى. لكن جاكلين لم تعِ شيئاً منها، بل جلست بكل بؤسها إلى جانب رالف صامتة. «فتاة هربت مني!» انها ساليا ويلبي! كم أحبها بول! مشاعره كانت ترتجف في صوته، فإذا العزلة والوحدة، والوحشة فيه. وهي من اتهمته بقتلها! لا عجب أبداً في أنه نظر إليها بهذه الكراهية!

في الخارج سألها رالف ما إذا كانت تريد التخلي عن حضور الحفل الذي يقام على شرف بول. فرفضت متذرعة بأنها الفرصة الوحيدة الآن لديها لمقابلته... وربما يكون هذا صحيحاً... فبعدما قالته له... لا تظنه أبداً سيطلب رؤيتها ثانية.

هز رالف كتفيه دون مبالاة:

ـ إنه ليس ذلك الرجل المميز... أتعلمين، كان بينه وبين زوجتي السابقة شيء ما، منذ سنوات.

اتسعت عينا جاكلين! بول لم يقل لها:

ـ لم... أكن أعلم هذا.

لم تنظر إليه لئلا يرى الغيرة في عينيها. فأجابها ببرود:

ـ لم تدم علاقتهما طويلاً... ربما وجدها خائنة كما وجدتها أنا.

فاحمر وجه جاكلين:

ـ لم نتحدث عن زواجك السابق يا رالف... لماذا لم ينجح زواجك السابق؟

ـ ربما! السبب الذي قلته لك.

وربما لأن رالف أصبح عنيفاً معها... لكن هل سيعترف بهذا؟ جذبها إلى جانبه وابتسم لها:

ـ لن نواجه مثل هذه المشاكل جاكلين... زواجنا سينجح تماماً.

سينجح إلى أن يقرر استبدالها بنموذج جديد... فكل زوجة تزوجها كانت أصغر من السابقة... لكنها ردت عليه

بطاعة، آملة أن يصدق أن جاذبيتها له قصيرة العمر.

ـ أجل... رالف.

الحفلة التي أقيمت على شرف بول احتلت مكاناً واسعاً في أضخم فنادق مونتريال... كانت القاعة مليئة بالمحتفلين لدى وصولهما إليها... وبدأت الغيرة تشتعل من جديد في قلب جاكلين ذلك عندما رأت امرأة جميلة سوداء الشعر تتأبط ذراع بول.

سمعت رالف يتمتم بغضب: تباً! فنظرت إليه بفضول.

ـ ثمة خطأ ما؟

ـ تلك المرأة مع هارفي... إنها زوجتي السابقة.

نظرت جاكلين إلى تلك المرأة بعين أخرى الآن... إنها امرأة في الثانية والثلاثين من عمرها. شعرها الأسود قصير كشعر الرجال. مكياجها قاتم بشكل بارز. فستانها الأحمر ملؤه الإثارة. انها امرأة رائعة الجمال، متملقة أنيقة، لكن هناك مبالغة تثير السخط في أحمر شفاهها. فجأة ابتسمت لبول، وأصبح وجهها مفعماً بالحيوية. ولمعت عيناها الزرقاوان.

عندما علقت أنفاس جاكلين في حلقها... ثم تمكنت من التمتمة:

ـ إنها رائعة الجمال.

ـ أجل... هل أنت واثقة من رغبتك في البقاء؟

ـ لا تتحدث إليها إن لم تشأ ذلك... لكن لماذا هذا الوجوم فأنت طلقتها منذ سنوات.

تقطيبته ازدادت عمقاً:

ـ أفضّل أن نخرج جاكلين... اوه... تباً، لقد شاهدتنا، وها هي متوجهة نحونا!

ـ هدىء من روعك رالف... بعد هذه المدة الطويلة يمكنكما تبادل التحية بأدب؟

ـ أنت لا تفهمين...

وجاء صوت نانسي أجش مثيراً.

ـ رالف! ما أروع أن أراك ثانية!

كان وجهه جامداً بعناد عنيف، عيناه باردتان:

ـ صحيح؟

لم تكن جاكلين قد شاهدته بهذا المنظر من قبل... وذكرته نانسي بحسن التأدب:

ـ ألن تعرفنا إلى بعضنا بعضاً رالف؟

ـ طبعاً... جاكلين... نانسي... نانسي هذه جاكلين برايس.

لم يكن هذا التقديم كافياً. فحدقت المرأة فيها بفضول:

ـ جاكلين برايس؟

ـ أجل... خطيبتي.

ـ اوه... لا أقصد هذا... هل انت ابنة فيليب برايس؟

فسألتها جاكلين بأدب:

ـ هل تعرفين والدي؟

ـ عرفته عندما كنت زوجة رالف. تعال وانضم الينا بول...

مدت يدها تمسك بذراع بول وهو يتحدث إلى شخص ما

على بعد خطوة منهم...

ـ أنت تعرف رالف بالطبع. وهذه خطيبته... ابنة شريكه.

فقطب بول:

ـ شريكه؟

ـ أجل فيليب برايس... أنت تعلم أنهما شريكان.

وضحكت نانسي... فرفع بول نظره إلى جاكلين... كان الاحتقار ظاهراً الآن أكثر من أي وقت مضى...

قال بسخرية:

ـ سعيد بمعرفتك آنسة برايس.

فردت ببرود:

ـ سيد هارفي... لقد تمتعت بحضور الحفلة.

ابتسمت لها نانسي:

ـ اوه... هل كنتما هناك...؟ أنت محظوظة جاكلين... رالف لم يكن يذهب إلى مثل هذه الحفلات مطلقاً عندما كنا زوجين.

رد عليها رالف بحدة:

ـ لم يكن هذا هو النوع الذي ترغبين في حضوره.

فاحمر وجه نانسي:

ـ كنت صغيرة عديمة الخبرة.

ـ أعرف هذا... كل ما كنت تهتمين به... كان...

بول... الواقف إلى جانب جاكلين، قال لها بهدوء:

ـ إذن... انت ابنة فيليب برايس؟

جذب سؤاله انتباهها عن الحديث الدائر بين خطيبها

وزوجته السابقة. فاستدارت إليه، مدركة أن الحديث الذي تسمعه أصبح ساخناً...

وردت عليه بخشونة:

ـ هذا صحيح.

ضاقت عيناه:

ـ لماذا لم تخبريني؟

فهزت كتفيها:

ـ ما كنت لتهتم.

ـ إذن... من أرسلك لتتعقبيني... هارفي أم والدك؟

فتنهدت:

ـ ما من أحد منهما... لقد سبق وشرحت لك سبب وجودي هناك!

ـ لكنك مازلت خطيبته وما زلت عازمة على الزواج منه.

ـ صحيح.

ـ لماذا؟

ـ ولماذا... في رأيك؟

جذبها قليلاً ليبتعدا عن الزوجين السابقين.

ـ ليس لدي فكرة. أنت لا تحبينه. ولا تحتاجين ماله... فلماذا ستتزوجينه إذن؟

ردّت رأسها إلى الوراء إشارة التحدي:

ـ ولماذا لا أتزوجه؟

ـ صحيح... ولماذا لا... ولماذا كانت رحلتك إلى الريف إذن؟ انطلاقة أخيرة للعبث قبل الاستقرار والزواج؟

ـ شيء من هذا القبيل.

ـ أعتقد أنني كنت العلاقة الأخيرة المنتظرة... آسف لأنني لم أتجاوب معك. هل كنت حقاً تجهلين هويتي يوم التقينا؟

ـ صحيح... لقد استرددت رسائلك وصورك...

ـ هل كان الرجلان يعملان لمصلحة والدك؟

ـ أجل. أرسلهما بحثاً عني... تبعا أثري حتى الفندق... فتشا المنطقة فلم يعثرا علي. فلما كانا على وشك العودة شاهداني معك في المقهى.

ـ كأنك تتمنين لو لم يجداك.

ـ أجل... أحببت الإقامة معك.

ـ وأنت عازمة على الزواج من وست؟

ـ أجل... هل ترغب في أن أحضر أغراضك غداً؟

كانت تتمنى أن لا يظهر توسلها في صوتها أو في عينيها... فهي تتحرق لرؤيته.

ـ وما الفائدة؟ أنا واثق أنهما صورا نسخاً عنها.

ـ اوه لا...! أتظن هذا حقاً؟

هذا ما لم تفكر فيه... فهز رأسه:

ـ ما من شك في هذا... لكن قولي لوالدك، انني ما زلت عند قولي! رسالة واحدة... صورة واحدة، وسيجد نفسه أمام المحاكم. لقد عبثت بي الصحف ما يحلو لها منذ سنة، أما هذه المرة فسأقاتلهما عندما تنشر أي شيء مهما يكن.

ـ سأقول له... لكنني واثقة أن أبي لن ينشر شيئاً. فهو يعرف ما قد يحدث لو فعل!

ـ الرجلان يعملان عنده... وهو مسؤول عنهما... وواضح أنهما سرقا هذه الأشياء دون أن أعلم بها... ومن الأفضل أن توصلي هذا التهديد إليهما.

ـ سأفعل... وأنا... أنا آسفة لما سببته من مشاكل لك بول... وآسفة لما قلته في غرفتك في قاعة الاحتفالات... لم أقصد ما قلت.

ـ مهما يكن... لقد قلتها. هل هذا ما تظنينه بي حقاً؟

لمعت الدموع في عينيها:

ـ أنت تعرف الحقيقة... فهل ستسامحني؟

ـ سأفكر في الأمر.

ـ هل استطيع إعادة أغراضك غداً؟

ـ ليس غداً... فأنا مشغول... حقاً. فلدي من تستوجب مقابلتهم... فأنا أحضّر الموسيقى التي ألّفتها في الكوخ، لتعرض على المسرح.

فشهقت:

ـ لم أكن أعلم أنك تؤلف الموسيقى.

ـ حسناً... أنت تعلمين الآن. وهذه معلومات أخصصك بها، والأفضل أن لا تخبري وست أو والدك.

ـ لن أفعل... متى أراك إذن؟

ـ ألست متهورة بالنسبة لامرأة مخطوبة؟ ماذا سيظن وست بك وأنت في شقتي؟

ـ لا أهتم بول... فأنا...

فزجرها بإيجاز:

ـ ليس هنا جاكلين. تعالي إلى شقتي يوم الاثنين. وستتحدث بهذا الشأن.

ـ بهذا الشأن؟

ـ أي بالعلاقة التي ترغبين في إقامتها معي. كنت على وشك الاذعان يوم تركتني. وظننت في الواقع أنك هربت بعد أن عرضت ذلك... لكنك ما زلت راغبة... أليس كذلك؟

أخذت عيناه تحدجان جسدها... وامتدت يده تلامس ذراعها العارية.

ـ الاثنين... هل ستتمكنين من الحضور؟

ـ أجل... ولكن...

ـ بعد الظهر... حوالي الثالثة.

ـ هذا وقت مناسب... لكن بول... أنا...

ـ خطيبك ينظر إلينا... ابتسمي، لئلا يظنني أهينك.

لكنه فعلاً أهانها! إنها لا تريد إقامة «علاقة» معه... إنها تحبه... ولا تريد لهذا الحب أن يتلوث بلقاءات سرية.

لكن يجب أن يكون هناك سرّية لو أرادا اللقاء. فرالف لن يوافق مطلقاً على لقائهما.

ـ لا يبدو خطيبك وزوجته السابقة على خلاف كبير... وبما أنني أعلم أنها كانت تكرهه، أجد هذا مثيراً للعجب.

نظرت جاكلين عابسة إليهما. فابتسمت عندما نظر إليها رالف. بدا أنهما قد توقفا عن الجدال الآن، يده على ذراعها وهما غارقان في الحديث... فقال بول ساخراً:

ـ لا يبدو انه يفتقدك كثيراً.

فاحمرّ وجهها:

ـ قال لي رالف إنك ونانسي كنتما على علاقة!

ـ هل أخبرك هذا؟ يبدو أن لديه هوساً في أن الرجال يرغبون في نسائه. وربما لهذا السبب لا يمانع في حديثي معك الآن.

فقطبت:

ـ أتعني أنك لم تكن على علاقة معها؟

رفع حاجبيه ساخراً:

ـ وما رأيك؟

ـ أظنك كنت على علاقة معها.

حبست أنفاسها تنتظر رده أمام تحديها. ولكن ما أدهشها أنه هزَّ كتفيه دون مبالاة.

ـ إذن... لن أزعج نفسي في الانكار.

لكن هذا ليس جواباً... فأصرّت على السؤال:

ـ أصحيح هذا؟

ـ قرري أنت.

نظرت إليه طويلاً مفكرة، وأخيراً توصلت إلى قرار:

ـ لا... لم تكن على علاقة معها.

فابتسم:

ـ ألا تقررين كل شيء عني بسرعة؟ لكن عندما يناسبك، تغيرين رأيك بسرعة كذلك. كما فعلت الليلة بشأن ساليا.

ـ أجل... لكنني أحسست بذنبي عندما غنيت لها تلك الأغنية.

ـ كيف عرفت بالله عليك أنها لها؟

ـ الكل آمن بهذا. أليست هي الفتاة التي هربت منك؟

فشهق:

ـ اهتمي بشؤونك اللعينة!

ـ آسفة... لم أقصد التطفل.

يا إلهي! إنها لا تستطيع قول شيء مناسب لهذا الرجل.

التوى فمه ساخراً:

ـ تعالي يوم الاثنين، وعندها تطفلي كما تشائين.

ـ سآتي لأرى ابليس!

ـ ابليس فقط؟

وضحك عالياً بخشونة:

ـ سيكون سعيداً بك. واستطيع القول أنني افتقدت صحبتك كذلك... فالنوم ما عاد كما كان.

فاحمر وجه جاكلين:

ـ هذه الملاحظة قد يساء تفسيرها لو سمعها أحدهم.

ـ لن يسمعها أحد... لكن ها قد جاء خطيبك الحبيب، دون زوجته السابقة.

والتفت إلى رالف:

ـ ماذا فعلت بنانسي؟

فعبس رالف في وجهه:

ـ لم أفعل شيئاً. لقد ذهبت لتتحدث مع أحد أصدقائها.

ـ من عادتها فعل هذا.

ـ أعرف.

ـ والآن أود أن أطلب منك، استعارة خطيبتك فترة.

ـ ماذا؟

نظر رالف إلى جاكلين بارتياب، لكنه لم يلاحظ شحوب وجهها المفاجىء... فمهما كان قصد بول، فرالف لن يعجبه هذا.

سمعت بول يقول له:

ـ لقد طلبت من جاكلين مساعدتي في التفتيش عن منزل... ووافقت بكل لطف منها.

فالتفت رالف إليها بحدة:

ـ جاكلين؟

يا إلهي! لماذا قال بول هذا!

ـ صحيح... لقد وافقت!

لكن بالأمس لا اليوم!

ـ لكن أمامك الكثير من التحضيرات... فزواجنا بعد أسبوع.

فهزل بول رأسه:

ـ أعلم... لكن خطيبتك قالت إن لديها وقتاً تستطيع فيه مساعدتي.

ـ جاكلين؟

إنه يريدها أن تقول إنها غيرت رأيها... والتحدي في عيني بول خير دليل. لكنها قالت بهدوء:

ـ لدي متسع من الوقت رالف... كل شيء جاهز للزفاف. وليس لدي ما أقوم به خلال اليوم.

فسأله بول:

ـ هل لديك اعتراض بعد يا وست؟ لأنك إذا بقيت معترضاً...

ـ بالطبع ليس لديه اعتراض... وأنا أرغب في هذا رالف...

ـ ومتى سيكون هذا؟

رد بول بكل هدوء:

ـ بعد ظهر الاثنين.

إذن هذا هو مقصده...! بول الذكي...! الآن، حتى لو أرادت الرفض لن تستطيع. وهذ ما لم تكن تريده صدقاً... فقد جعل بول رفضها مستحيلاً.

●●●

٧ ـ لستُ شأناً من شؤونك

نهار الاثنين عندما كانت في طريقها إلى شقة بول... تذكرت اعتراض رالف، وتحذيره إياها بالابتعاد عن التورط وكان هذا ما كررته لنفسها أيضاً. لكن عندما يقع المرء في حب عميق كحبها. كيف له ألا يتورط؟

فتح بول الباب عندما طرقته فأدخلها إلى غرفة الاستقبال.

ـ أعذريني على هذه الفوضى.

كانت الصحف والمجلات منتشرة في كل أنحاء الغرفة.

ـ لم أجد وقتاً لاستئجار مدبرة منزل بعد.

راقبته وهو يلتقط بعض الصحف ليفسح مكاناً لها على الأريكة.

جاست متوترة:

ـ لا بأس بهذا... أتريدني أن أهتم بها أيضاً؟

ـ أيضاً؟

ـ أقصد الاهتمام بالبيت بعد الاهتمام بالبحث عن منزل.

وانفجر ضاحكاً:

ـ كلانا يعرف أن هذا ليس سبب وجودك هنا.

ـ نحن... نحن نعرف؟

فراشة المحبة
www.liilas.com

ـ طبعاً... أرجو أن تعذريني على مظهري، لقد ذهبت البارحة إلى حفلة، ولم أعد منها إلا ظهر اليوم.

تسارع تفكيرها أشواطاً مضاعفة فأحست بالغيرة تنهش جسدها. فشهقت:

ـ هكذا اذن... ربما ترغب في تأجيل هذا اللقاء إلى وقت ملائم.

ـ لا... أقسم بحياتك!

ـ أنت تتمتع بعودتك إلى المدينة إذن.

ـ وكأنني لم أبتعد قط.

أي كأن أيامهما في الكوخ الريفي لم تكن قط... إن هذا الرجل ليس بول الذي أحبته. فسألته ببرود:

ـ أين ابليس؟

ـ في غرفة نومي. لقد وضعت له صندوقاً للنوم فيها... لكنه يفضل فراشي. إنه لا يكاد يبتعد عنه... تعالي لنلقي نظرة عليه.

في غرفة نومه! لن تستطيع! إنها الآن عرضة للخطر... عرضة للسحر الذي قد يلقيه عليها عندما يشاء.

ـ أنا... ألا يمكنك إحضاره إلى هنا؟

ـ عليّ أن أرتب الفراش في كل الأحوال. لذا من الأفضل أن تدخلي وتريه بينما أرتبه.

كانت غرفة النوم أسوأ حالاً من غرفة الجلوس... الملابس منتشرة فوق الأرض. السرير في فوضى عارمة، وعلى قمة جبل الفوضى هذه وجدت ابليس... فانحنت لتحمله:

ـ لماذا تركت الفوضى تعمّ إلى هذه الدرجة؟ طالما كان الكوخ نظيفاً!

فهز كتفيه، وبدأ يرتب الفراش.

ـ لم أجد وقتاً.

فعلقت بمرارة:

ـ بسبب الحفلات فقط؟

فابتسم:

ـ نعم صحيح... ماذا قال خطيبك بعد أن غادرتما الحفلة؟

قالت له بحدة:

ـ لا داعي لإظهار هذه التسلية. لم يكن راضياً... وهذا طبيعي.

ـ ولماذا هو طبيعي... هل اعترض لأنني قضيت وقتاً طويلاً مع زوجته السابقة؟

ـ لا تكن سخيفاً...

ودفعته عن السرير:

ـ بالله عليك... دعني أفعل هذا! أنت حقاً عاجز.

فتراجع ينظر إليها:

ـ أو ربما أفضل رؤية امرأة تفعل مثل هذه الأشياء.

ـ هذا ما لاحظته في الكوخ.

ـ ألا تظنين أن رالف ونانسي كانا ودودين أكثر مما يلزم في الحفلة؟

لقد لاحظت هذا، لكنها لن تعترف به. بل قالت دون اكتراث:

ـ ولماذا لا يكونان ودودين؟ إنهما شخصان متمدنان، وتصرفهما طبيعي خاصة بعد هذه المدة المديدة من الطلاق.

ـ وهل ستكونين ودودة مثلها لو كنت مكانها!

ـ أنا لا أنوي الطلاق. فالزواج بحاجة للعمل لانجاحه. هو كأي شيء مهم في الحياة.

ـ فكرة رائعة، أرجو أن تحقيقيها مع وست.

جلس على حافة السرير وتمدد مسنداً نفسه على مرفقيه ثم ربت على السرير قربه.

ـ انضمي إليّ.

فاحمرت وجنتاها:

ـ لقد جئت بحثاً لك لا بحثاً عن فراشك.

ـ لكنني اشتقت إليك جاكلين. بعد رحيلك ما ذقت طعم الهناء في النوم وحدي.

ـ ولا أظنك نمت وحدك بعدها؟

ـ عيناك خضراوان ثانية جاكلين؟

ـ كانتا دائماً خضراوين... لا من الغيرة!

ـ صحيح...؟ أما عدت تحبينني؟

ـ هذا كلام قاس منك.

ـ أمن القساوة أن أذكرك بالمؤامرة التي استخدمتها كي تدفعيني للنوم معك؟ أحاول أن أقول لك إنك ما عدت بحاجة إلى التمثيل... فأنا أكثر من راغب في النوم معك حالاً.

فهزت رأسها:

ـ لا يا بول...

ارتدت مبتعدة عنه بعد أن هب عن السرير متقدماً نحوها. رافعاً حاجبه ساخراً:

ـ ربما ترفضين لأنني لم استحم فإن فعلت هل تنضمين إلي؟

فارتجفت للفكرة:

ـ لا يا بول... أنت تسيء فهمي. فأنا ما جئت إلا لمساعدتك في اختيار منزل. فلا يجب أن يبقى ابليس في هذه الشقة فهو بحاجة للحرية. انظر اليه... لقد ازداد وزنه.

ـ أنت على حق، فهو ليس سعيداً هنا... ولا أنا كذلك... عودي معي إلى كوخنا... جاكلين.

ـ كوخنا؟ لكنك تؤلف ألحاناً جديدة.

ـ وأنت ستتزوجين. فانسي امر الكوخ.

امتدت يداه تداعبان ذراعيها:

ـ لكنني مستعدة للبحث عن منزل.

ـ وهل ستسكنين معي؟

ـ لا... لا... لا استطيع... سأتزوج من رالف... وأنا لست من الفتيات اللواتي يقبلن بإقامة علاقات غير شرعية.

ـ لكنني ظننتك كذلك.

فنفرت منه. وفتحت حقيبتها لتعطيه مغلفاً بنياً يحتوي على أوراقه فرمته إليه عندما لم يحاول تناوله.

ـ والآن لم يعد أمامنا سبب للاجتماع ثانية... وداعاً بول...!

فأمسك ذراعها:

ـ اوه... لا... لن تذهبي. فلدينا أسباب قوية لنلتقي ثانية... وإلى أن تكوني مستعدة للمجيء إلي بكل إرادتك... سأتذرع بالتفتيش عن منزل... ستجدين لائحة بالوكالات قرب دفتر الهاتف... اتصلي ببعضها... بينما أنظف نفسي وأرتب مظهري.

ـ اذن أنت تنوي فعلاً شراء منزل؟ كيف تجرؤ على لعب هذه اللعبة معي؟ كيف؟

ـ ما من لعب جاكلين... أنا أريدك وأنوي الحصول عليك... لكنني لم استخدم القوة مع امرأة من قبل. ولن تكوني الأولى... ثم أن ابليس بالفعل أصبح بديناً.

ـ ربما يجب أن لا تطعمه كثيراً. سأذهب الآن لأجري الاتصالات.

لكنها اضطرت إلى انتظار خروجه من الحمام. فهو لم يقل لها نوع المنزل، أو عدد غرفه، ولا وضع الأرض الملحقة به... أفي الريف أم في ضواحي مونتريال. الانتظار أمهلها وقتاً كافياً للتفكير فيه، وفي عرضه بمشاطرته السكن.

لولا الوعد الذي قطعته لرالف، هل كانت ستذهب معه؟

عاد بول إلى الغرفة فلاحظ عبوسها فضحك:

ـ هل غيرت رأيك؟

ـ لا... سأغادر الشقة حالاً إذا عدت إلى هذا الموضوع.

ـ لن أعود إليه... هل وجدت شيئاً؟

ـ لم تقل لي عما تبحث أو ما هي طلباتك.

فرد عليها بمزاح خبيث:

ـ أنت ما أطلب... أرغب في كل ذرة لذيذة منك.

ـ بول!

ـ حسناً... حسناً.

جلس قبالتها، وتطلع إلى الغرفة المرتبة الآن.

ـ أرى أنك رتبت المكان!

ـ ليس كما أتمنى.

رفع ذراعيه عالياً، وتراجع في مقعده:

ـ لك مطلق الحرية.

ـ استأجر مدبرة منزل.

ـ الأمر لا يستاهل، خاصة أنني سأنتقل قريباً.

ـ انظر، إما أن تنظر إلى الأمر بجد، أو فلننسَ الأمر.

ـ حسناً... لا أريد شيئاً كبيراً أو صغيراً... بل مكان أشعر بأنه فعلاً بيتي... بيت العائلة.

فاتسعت عينا جاكلين من جرّاء الصدمة.

ـ هل تفكر في الزواج؟

ـ ألا تعلمين أن هذا أمر طبيعي؟

ـ لكن ساليا...

ـ إنها جزء من الماضي... وأنا أفكر في المستقبل.

ـ لما تكتب القصائد عنها إذن؟ ما من أحد استمع إليك إلا واستنتج أنك باقٍ على حبها!

فردد بصوت منخفض:

ـ الفتاة التي هربت مني.

ـ صحيح... لماذا لا تتركها تموت؟

ـ لكنها ميتة... فتاة كانت جميلة يوماً... وبشعت في غيبوبتها... فلم تعد جميلة مع الألم... ثم ماتت يا جاكلين! ماتت... ماتت... ماتت!

وتصاعد صوته حتى الصراخ... فمنع البكاء عنها أنفاسها:

ـ إذن... دعها وشأنها بول... دعها تذهب!

فرد ساخراً:

ـ وهل استبدلها بفتاة مثلك؟ فتاة تهرب مذعورة لادراكها أن موعد زفافها قد اقترب؟ فتاة كانت ترغب في مشاطرتي فراشي وفراش أي رجل كان لأنها شعرت بالوقوع في الفخ... وهي حتى الآن لا تستطيع الابتعاد عني؟ لا تنكري جاكلين... لقد توسلت إليّ تقريباً للمجيء إلى منزلي... وها أنت الآن تعودين إلى الهرب مذعورة... اتساءل ما إذا كان وست سيتمكن من الإمساك بك ليلة عرسك.

ـ أنت ظالم قاس وبربري! وتحب إيلامي.

فهزها بغضب:

ـ حسناً... سأطارحك الغرام الآن... ومهما فعلت... هيا قاوميني اذا استطعت... وسنرى كم ستصمدين.

فانقض عليها، غير عابىء بما يسبب لها من ألم، أجبرها على تقبل عناقه، ثم طافت يداه فوق جسدها، فإذا بها تشعر بأنها تموت وبأن أحاسيسها كلها مخدرة.

فقال منتصراً:

ـ لقد أوقفت كل مقاومة... أنت كبقية النساء... كلما زادكن الرجل إيلاماً ازددتن شوقاً.

وابتعد عنها، متوجهاً إلى النافذة... فلمّا التفت إليها، كانت تملس شعرها الذي كان السبب في تشعثه، فقال لها بخشونة:

ـ لقد ظننتك مختلفة.

ـ لكنني مختلفة... وإذا ظننت أنني تمتعت بتهجمك علي فأنت مخطىء. لست أدري أي نوع من النساء عرفته في الماضي... لكن لم يعجبني... هذا التهجم المهين! وأنا لست على استعداد لتقبل إهاناتك... أما وصفك بالبربري فقليل عليك... أنت... أنت حيوان... أنت!

ارتدت على عقبيها عاصفة نحو الباب.

ـ جاكلين...

لحق بها وقد تغير مزاجه كله فصوته أصبح ناعماً ويداه غدتا عطوفتين.

ـ أنا آسف... هل تسامحينني؟

فبرقت عيناها:

ـ أتظن أن تلفظك ببضع كلمات اعتذار تمسح عنك كل ما فعلت... وماذا بشأن هذه الإهانة التي ألحقتها بي؟ حسناً دعني أقول لك شيئاً...

لكنه اصمتها ثانية بعناقه... فحاولت الابتعاد عنه صائحة:

ـ بول!...

وضع يديه حول وجهها:

ـ آسف... أنا آسف... جاكلين... آسف... آسف... آسف! هل سامحتني؟ لا أطلب منك إلا الامتناع عن

ذكر ساليا... فأنا أحاول عدم تذكرها... فكيف بالكلام عنها. والآن فلنعد إلى موضوع المنزل.

جذبها يجلسان معاً على الأريكة قرب الهاتف فأمضيا الساعة التالية يتصلان بالوكالات... كانت النتيجة معرفتهما عناوين ثلاثة بيوت. تحدّد موعد أحدها في الخامسة من بعد ظهر اليوم، أمّا الموعدان الآخران فتحددا في اليوم التالي.

قال لها وهما ذاهبان لرؤية المنزل الأول:

- أيناسبك موعد الغد؟

- أتريد مني أن أرافقك غداً؟

- هذا إن لم يعجبنا هذا المنزل.

فأخذت جاكلين تقرأ الوصف الذي كتبه عنه:

- يقع على ضفة نهر سانت لورانس على بعد بضعة أميال من المدينة. ضمن قطعة أرض من فدانين... فيه ثمانية غرف نوم... هل ترغب حقاً في هذا العدد من الغرف؟

- هذا يتوقف على عدد الأولاد الذين سنرزق بهم.

- أولاد...؟

- أجل... سأتزوج.

شحب وجهها:

- ومتى سأقابل الزوجة المقبلة؟

- اوه... لقد قابلتها... ألم يضيفوا وصفاً آخر كطريق داخلية خاصة؟

- صحيح... هذه هي، يجب أن تنعطف هنا... قلت إنني التقيتها؟

- من هنا؟... أجل لقد التقيتها.

- يا إلهي... هل هذا مذكور على اللائحة جاكلين؟

- أجل... انعطف يساراً.

- كدنا نتجاوز المنعطف... بالله عليك ركزي على التعليمات، الوكيل ينتظرنا عند الخامسة. والوقت تجاوزها فلن نصل قبل الخامسة والنصف.

- حاضر سيدي.

خلال الوقت الباقي لم تتفوه سوى بالتعليمات... وما قدّره حدث فقد كانت الساعة الخامسة والنصف عندما وصلا.

قال لهما الوكيل:

- سأريك وخطيبتك المكان حالاً.

فرد بول:

- عظيم هل الأرض حوله تبدو مناسبة؟

- المكان رائع لعائلة صغيرة. وهي مسيجة كلها وتشكل خلوة كاملة.

أدخلهما المنزل... كانت غرفة الاستقبال تمتد من طرفه إلى طرفه، تتصل بغرفة استقبال أخرى، ثم بالمكتبة، فالمطبخ الحديث. لكن جاكلين اشتاقت إلى مطبخ الكوخ الصغير.

كان الطابق العلوي أيضاً جميلاً. فيه ثمانية غرف فاخرة لها أربعة حمامات فخمة أيضاً، أحدها متصل بغرفة النوم الرئيسية.

قال الوكيل:

- هذا الباب يقود إلى غرفة أطفال... طبعاً لن تحتاجاه قبل فترة... ولكنه نظرة إلى المستقبل.

داعبت نظرات بول جاكلين وقد احمر وجهها.

ـ بالطبع سنحتاجه... هاك يا حبيبتي... هل أرحت بالك بشأن وجود الأطفال على مقربة منك ليلاً؟

فردت بحنق:

ـ أجل.

أكمل بول:

ـ يبدو أن هناك عدداً وافراً من الغرف التي قد نضيع فيها! فقد أحتاج إلى ساعات حتى أجد زوجتي، عندما أريدها على وجه السرعة.

فغطت وجه الوكيل سحابة سوداء:

ـ أجل... لكن...

هبطت جاكلين السلم إلى جانب بّول... تجد صعوبة في كبح تسليتها بما يحدث... فهذا الرجل يظن بول ذلك الرجل الفاحش الثراء.

وخرجوا من الباب الرئيسي، فالتفوا حول الاسطبلات... لكن الرجل لم يكن يريد أن يريهما الاسطبلات بقدر ما كان يريد أن يريا الغرفة التي فوقها، كانت غرفاً للتسجيل... فيها كل المعدات صالحة للعمل. فالسقف، والجدران، وحتى الأرض مزودة بعازل للصوت.

أخذ بول يتجول في الغرف، وسعادته ظاهرة. لكنه لم يقل شيئاً... إلا بعد أن غادرا المكان... صمته أدهش جاكلين. فلقد ظنت أن غرفة التسجيل ستدفعه إلى شراء المنزل، الذي كان يملكه أحد مشاهير الغناء السابقين.

وقال لها:

ـ أتتناولين العشاء معي الليلة؟

ـ لا استطيع. رالف ينتظرني.

فظهر عليه الكدر...

ـ تخلي عنه.

ـ لا أستطيع! فسأتزوجه!

ـ الغي الزواج كذلك... فأنت لا تحبينه.

ـ هل لك أن تهتم بشؤونك؟

ـ حسناً سأفعل لكن عندما ترغبين في أن تكوني إحدى شؤوني ثانية... اعلميني.

ـ لم أكن يوماً شأناً من شؤونك. وما من أحد طلب منك متابعة التودد لي.

ـ وما من أحد طلب مني التوقف كذلك.

ـ حسناً... أنا أطلب منك التوقف الآن... دعني وشأني.

تجهم وجهه:

ـ لقد وعدتني بالبحث عن منزل... وستنفذين وعدك.

ـ أنا لم أعدك.

لكنها وعدت نفسها بأن لا تقطع بعد اليوم وعداً لأحد. ليس بعد أن أوقعتها وعودها لرالف ولوالدها في فخ. ودفعتها إلى زواج لا تريده...

قال لها بول بشراسة:

ـ حسناً... أنت لم تعديني... لكنك عرضت علي المساعدة. وأنا قبلتها... لذا سأمر بك عند الساعة العاشرة

غدا. . . اتفقنا؟

ما أشد سعادتها لأنه لم يقبل أول منزل شاهده فهي الآن أقله تملك عذراً مقبولاً لرؤيته ثانية.

● ● ●

٨ ـ اللهيب يتقدّ

عندما أصبحت في غرفة نومها. . . أسندت ظهرها إلى الجدار. فهذه الأمسية كانت عامرة بل كانت كارثة كاملة لها. . . ولرالف. . . حسناً. . . في الصباح سيصدم ثانية بخروجها مع بول. . . وهذا لن يحسّن من طباعه.

والدها كان على مائدة الطعام عندما نزلت من غرفتها في الصباح التالي. . . كان يجب أن يكون الآن في مكتبه، فالساعة تقارب التاسعة. لكن سبب تأخره توضح بعد قليل.

ـ لا أريد أن تخرجي مع بول هارفي اليوم.

صبت لنفسها بعض القهوة قبل أن ترد:

ـ عدم موافقتك اقابلها بفتور.

ـ وتتجاهلينها. . . تباً جاكلين. . . لا يمكنك المواظبة على الخروج معه وأنت ستتزوجين رالف.

ـ أنا أساعده على إيجاد منزل يشتريه.

ـ منزل؟ لكن هل ستشاطرينه مسكنه؟

صدمته ضحكتها:

ـ شاطرته بيته يوماً.

فوقف ليذرع الغرفة:

فراشة المحبة
www.liilas.com

ـ لا استطيع الاستمرار جاكلين، لو اكتشف رالف أمري...

ـ إنه يعرف. والآن اذهب إلى عملك... وإذا كان رالف هناك فسيغضب لتأخرك.

ـ لقد سألت عنه فقيل لي إنه لم يصل بعد.

ـ اوه... صحيح.

ـ اوه يا إلهي... أنت تقودينه إلى الجنون.

ـ ليس أنا... بل زوجته السابقة.

ـ نانسي...؟ لكن إلى أين ستذهبين الآن؟

كانت قد هبت واقفة عن المائدة وابتعدت عنه:

ـ إلى غرفتي... لأستحم وأغير ملابسي... حقاً يا أبي، ما هذا السؤال؟

ـ غدا لسانك لاذعاً في الآونة الأخيرة... فأنت ما كنت هكذا. لست أدري ما أصابك.

ـ لكنك تعرف! لقد اكتشفت أنك سادي وديكتاتوري، متطلب، وأناني... رالف يعلم كل شيء عن استدانتك المال من الشركة... لكنه...

فشحب وجه أبيها:

ـ يعرف؟

ـ اوه... يعرف. لقد أخبرني. لكنه لم يفكر قط في استغلال الأمر للتمسك بي... فالأمر يلزمه خبيث متآمر مثلك ليفكر فيه. حسناً... لقد اكتسب الفكرة الآن... وحتى أصبح زوجته سيبقي الأمر هكذا. فأرجو أن تفتخر بنفسك!

ودخلت غرفتها تصفق الباب وراءها وتقفله.

والدها على حق، إنها لم تتصرف على هذا النحو من قبل... حبها لبول غير طباعها، وجعلها تكره خطبتها لرالف بل جعلها تتوق للعودة إلى كوخهما الريفي، كما اقترح بول عليها.

وصل بول عند العاشرة تماماً. وكان من حسن الحظ أنّ والدها قد خرج... انها لا ترغب في صدام آخر معه.

ـ لماذا ترتدين هذه الثياب الفاخرة؟ هل أنت ذاهبة إلى مكان ما؟

ـ أحاول أن أبدو مشترية أنيقة.

فجلس على أحد المقاعد:

ـ غيري ثيابك... سأنتظر.

ـ لن أفعل! أنا أبدو محترمة بها.

ـ بل تبدين... فاتنة... جميلة... لكنني أظنك ستكونين مرتاحة بالسروال أكثر. ويمكنك ارتداء شيء جميل فيما بعد.

ثم وقف ليزيل المشابك من شعرها ويتركه مسترسلاً:

ـ لقد افتقدتك ليلة أمس... لقد افتقدت وجودك معي... ومشاركتك غرفة نومي... إن لم أقل فراشي.

ـ بول!...

ـ هيا غيري ملابسك. ارتدي جينزاً ضيقاً كما كنت تفعلين في الكوخ. ودعيني أتعذب وأنا أنظر إليك.

ـ لكن، لو أبقيت على ثيابي هذه فلن تضطر لتعاني العذاب.

ـ أظن أنني قادر على تحمله.

قصدت غرفتها ضاحكة فبدلت ثيابها بأخرى كما طلب، ثم سرحت شعرها، فبدت مختلفة تماماً عن السيدة الأنيقة التي استقبلت بول منذ دقائق.

تنفس بول عميقاً عندما شاهدها:

ـ يا إلهي! حسناً... فلنذهب... ابليس ينتظرنا.

ـ كيف حاله؟

ـ على ما هو، يجب إخراجه من المدينة في أسرع وقت! مثلنا جميعاً... هل اشتقت للكوخ جاكلين؟

هل اشتاقت إليه؟ يمكن أن تتخلى عن أي شيء لتعود إليه. لكنها قالت كاذبة:

ـ لم أفكر في هذا كثيراً.

ـ هل اتصل بك وست اليوم؟

ـ لا.

ـ أين أمضى ليلة الأمس؟

ـ ليس لدي فكرة.

ـ إطلاقاً!

ـ لا.

ـ هل يحبك جاكلين؟

فهاجمته بحدة:

ـ ماذا تقصد بول؟ هل تستجوبني؟

ـ ثمة ما أود معرفته... أكنت تعلمين إنه باق على حب نانسي؟

ـ هذا ما لن أصدقه.

ـ لن تصدقيه أم لا تريدين أن تصدقيه؟

ـ لن أصدقه. هل كنت تعرف أنها ما زالت تحبه.

ـ لا... لكنني أعرف الآن. وكل الدلائل تشير إلى نهاية سعيدة. فلماذا لا يتم ذلك؟

ـ أخبرني أنت.

ـ حسناً... سأخبرك... السبب أنت.

فقطبت:

ـ أنا؟

ـ أجل أنت... أنت تقفين في طريق سعادتهما... تتمسكين بخاتمه حتى الموت.

فاحمر وجهها بسبب ظلم كلامه.

ـ أنا... لست هكذا!... ولن أكون...

ـ لن تكوني ماذا؟ بحق الله جاكلين... ليس من حقك الزواج منه وأنت تتجاوبين معي ذاك التجاوب كله. ليس من حقك الزواج من أحد وأنت تريدينني أنا.

ـ أنت؟... لكن...

ـ لا تكذبي جاكلين... ليس الآن. بثّ لا أطيق خطوبتك ولا أقوى على احتمالها... فليذهب وست إلى الجحيم... أريدك... الآن... ماذا ستفعلين لهذا؟

فلعقت شفتيها، وهي تشعر بالخجل ثم قالت بصوت كالهمس:

ـ أنا... أنت الرجل الأول في حياتي بول.

مسّت يده وجنتها برقة:

ـ أعلم هذا... وهذا ما يجعل للأمر أهمية كبرى تدفعني أن أكون الحبيب الأول الذي لن تنسيه أبداً.

ـ أنت... تريدني هكذا؟

ـ تعلمين... إنني أقولها وأعلنها منذ أيام.

ـ لكن بول...

ـ فلندخل ولنتمّ الحديث.

أوقف السيارة ثم استدار ليفتح لها الباب... شقته كانت في فوضى اليوم السابق... فسألته لتغطي توترها:

ـ أين ابليس؟

ـ ربما تحت السرير حيث تركته. تعالي معي!

أمسك بيدها... فوعت تماماً أهمية طلبه... فهو لم يكن يطلب منها فقط دخول غرفة النوم... بل يطلب منها الزام نفسها به. روحاً وجسداً.

أسلمت يدها إلى قبضته وشفتها ترتجف، فأحست بالأصابع القوية تلتف على اصابعها... فابتسمت مرتجفة:

ـ حاضر يا بول.

خرجت أنفاسه محشرجة:

ـ كنت أملت أن يكون هذا ردك... حسناً فلندخل ونرى أين ذلك القط. لم استطع الاقتراب منه هذا الصباح... فلنأمل أن يحالفك الحظ معه.

باءت كل توسلاتها لابليس بالفشل، وقوبلت بالصمت... إذ لم يصدر من العتمة تحت السرير صوت مواء واحد.

مدت جاكلين يديها إليه، فلم تتلق سوى خرخرة وضربة من قائمته. فوقفت تنظر إلى إصابتها. كان بول يجلس على السرير. فأمسك يدها ونظر إلى الخدش. ثم رفعها ببطء ليقبل مكان الألم، وعيناه مثبتتان على وجهها ثم راح يجذبها إليه ببطء، ليحتجزها بين ذراعيه، متمتماً:

ـ سأدعك تقتربين مني... القدر الذي تشائين... فما مدى رغبتك في الاقتراب مني؟

فاعترفت حالمة:

ـ أريد أن أكون قريبة جداً... اوه... بول... أحبك. أحبك كثيراً... أرجوك صدقني!

انهمرت الدموع من عينيها دون قصد منها فغيرت فيها لون عينيها الخضراوين. فأمسك بوجهها بين يديه.

ـ اصدقك... هل تصدقيني عندما أقول انني لن أدعك تتزوجين وست... اخلعي هذا الخاتم فوراً!

رفع يدها إليه، وأخرج الخاتم منها، ثم حاول رميه عبر الغرفة... فأوقفته جاكلين:

ـ لا!... أنا... إنك لا تفهم... أنا مضطرة للزواج منه...

جمد بول فجأة:

ـ لماذا؟

عضت على شفتها، وقد أظلمت عيناها ألماً:

ـ فقط... أنا مضطرة.

أمرها بإصرار:

ـ اخبريني السبب!

نظرت إليه بعذاب... واستدارت:

ـ لا استطيع!

ـ لماذا لا تستطيعين؟

ـ إنه ليس سرّي لأبوح به...

فوقف:

ـ إذن... إنه سرّ يتعلق بوست... سنذهب في الحال لرؤيته. وللبحث في هذا السر. لكن مهما حدث، مهما كانت حجته عليك كبيرة فلن تتزوجيه... مفهوم؟

لحقت به وهو يسرع إلى خارج الغرفة، وعلى وجهه المتجهم تعبير يدل على مزاجه الأسود:

ـ لكن... بول...

استدار إليها فجأة حتى كادت تصطدم به، وأمسك برأسها يهزه حتى آلمتها أصابعه:

ـ هل فهمت ما قلته؟

ـ أجل... لكنك أنت لم تفهم. فالسر لا يخصني ورالف وحدنا.

ـ لا... بل نانسي وأنا كذلك.

ـ ليس هذا ما عنيته... مع أن لنانسي المرشحة لتكون زوجتك في المستقبل، علاقة بالطبع.

ـ لقد قلت لك إنني سأتزوج... ولم أقل ان نانسي هي المرأة المطلوبة.

أخرجها من المبنى إلى السيارة:

ـ قوديني إلى شقة وست.

ففعلت، لكنها لم تتخل عن الموضوع:

ـ لكن إذا كنت لن تتزوج نانسي... فمن...؟

اتسعت عيناها بعد أن التفت إليها ليرمقها بنظرة ذات مغزى.

ـ أنا؟... أتعني أنا؟

ـ أعني... أنت... لماذا تعتقدين سبب كل اهتمامي هذا بك؟

ـ لم أكن أعلم... ظننت فقط... زواج... يا بول؟

فأكد لها:

ـ أجل... زواج. أريد أن يكون خاتمي أنا في يدك... وأن تكوني لي إلى الأبد... أتريدين هذا؟

فشهقت:

ـ اوه... أجل!

ـ إذن هذا ما سيكون... لدي ترخيص زواج، والوقت، ولم يبق أمامي إلا موافقة الفتاة... فهل حصلت عليها؟

ـ أجل... في أي يوم... وأي وقت بول؟

ـ اليوم... الساعة الرابعة.

ـ اليوم؟

ـ أجل... اليوم.

ـ لكنني اعتقدت أننا ذاهبان للتفتيش عن منزل.

ـ ألم يعجبك منزل الأمس؟

ـ لقد أحببته.

ـ عظيم... لقد اشتريته.

ـ لكنك قلت...

ـ كنت أريد التأكد من مقابلتك اليوم... ولن يكون المنزل جاهزاً للسكن قبل أسابيع... لكن سنعيش في الكوخ حتى ذلك الوقت. هل تعجبك الفكرة؟

ـ سأحبها... وسيحبها ابليس كذلك...

ـ اه... أجل... ابليس... له ذوق رفيع بالنساء. فقد أحبك على الفور.

ـ لكن لدي أثر خدش في كاحلي يثبت عكس هذا... بول في المنزل الذي اشتريته، قلت لي انني سأحب رعاية الأطفال... هل تعني هذا؟

ـ لكن أليس هذا ما تريدينه أنت؟.

ـ صحيح... لكن كيف عرفت؟

أوقف السيارة خارج منزل رالف، واستدار لينظر إليها:

ـ لأنني أعرفك... والآن فلندخل ولنقابل وست... فمسألة الأطفال سنبحثها في محيط ملائم... الليلة.

الليلة! عندما ستكون زوجته! لكن هل سيطلق رالف سراحها؟

أدخلتهما مدبرة منزل رالف إلى غرفة الاستقبال... فما مضت إلا دقائق حتى أطل رالف من غرفة النوم لكنه أجفل لدى وصول ضوء الشمس إلى عينيه... فسأل مترنحاً:

ـ كم الساعة الآن؟

رد عليه بول متسائلاً بقساوة:

ـ الحادية عشرة... أما زلت غير متمالك وعيك؟

نظر إليه رالف نظرة غاضبة، وقال بحدة:

ـ أيها الساخر النذل... يجب أن...

ـ رالف! (صاحت امرأة تناديه).

التفت الجميع فشاهدوا نانسي وست تقف في الباب. لا يستر جسدها سوى روب رجالي... هو روب رالف...

٩ ـ أخيراً ضاعت الكلمات

ضحكت نانسي عندما طالعها التعبير المذهل على وجهيهما.

ـ حسناً... لا تدهشا... لقد أمضيت ليلة مع زوجي! على الأقل، سيكون زوجي حالما تنهي الاجراءات القانونية. فقد رددت هذا إلى حيث يجب أن يكون.

مدت يدها تظهر خاتم زواجها... ثم وضعتها في ذراع رالف... وسألت مرحة:

ـ أيحب أحدكما أن يحضر الزفاف؟

رد بول ببرود:

ـ نحن لدينا مفاجأة أيضاً.

نقلت نانسي نظرها من بول إلى جاكلين.

ـ مفاجأة؟ أنت وجاكلين...؟

ـ أجل... بعد أن اسوي امراً مع رالف، فأعرف ما يجعل جاكلين تعتقد أنها مضطرة للزواج منه.

اتجهت عيناه الضيقتان إلى الرجل الآخر فسارع رالف لإنكار المسؤولية، جالساً وهو يتنهد:

ـ لا تنظر إلي!... يا إلهي كم يؤلمني رأسي!

فقالت نانسي على الفور:

ـ سأحضّر لك إحدى الوصفات حبيبي... هذا إذا سمحت لي مدبرة المنزل بدخول المطبخ... لقد صدمت عندما شاهدتني هذا الصباح في فراشك!

أمسك رالف بيدها، وقال بصوت أجش:

ـ لا تتأخري!

فوعدته بنعومة:

ـ لن اتأخر.

تكلّف المرأة المحنكة كله تلاشى منها... فلم يعد حبها خافياً عن الأعين الآن. عندها أحست جاكلين بشرارة سعادة اضيئت في داخلها، وأن كل شيء سيكون كما تشتهي... آه ليت بول قال فقط لها إنه يحبها... وإن كذباً!

امسك بول بخاتم خطبة جاكلين وقدمه إلى رالف:

ـ أظن أن هذا لك؟

ـ أجل... لكن فليبق يا جاكلين ذكرى من رجل عجوز أحمق.

ـ رالف...

فابتسم:

ـ لا بأس يا عزيزتي... لقد نلت ما أصبو إليه، واستعدت نانسي إلى جانبي، ويبدو أنك نلت ما تصبين إليه أيضاً، لكنني لا استطيع القول إنني راض عمن حل مكاني... لكن إذا كنت تحبينه، فهو ليس بالرجل السيء.

ابتسمت جاكلين عندما أطلت نظرة بول العاصفة الموجهة

فراشة الحب
www.liilas.com

إلى رالف... فقد عرفت أن رالف يتمتع بمهاجمته... فردت بصوت أجش:

ـ إنه ليس سيئاً أبداً... وأنا سعيدة بعودة نانسي إليك.

ـ وأنا كذلك جاكلين... فلنأمل أن نجد جميعاً السعادة... لكني يا بول لا أضرب النساء... وستؤكد نانسي لك هذا.

ـ لقد عرفت هذا.

فتنهد رالف:

ـ لقد أخبرتني كل شيء... فقالت إنه لم يكن هناك علاقة بينكما. وانها ادَّعت أمامك أنني أضربها حتى تحاول جذب اهتمامك إليها. أسمعتِ شيئاً عن الأمر جاكلين؟

ـ أجل.

فسألها مشدوهاً:

ـ إذن لماذا كنت ستتزوجيني بالله عليك؟ يجب أن تهربي من الرجل الذي يستخدم القوة القاسية... صحيح أنني خرجت عن طوري مرة ولامست خد نانسي، لكنني أدركت عندها أنَّ عليّ الخروج من حياتها.

فسأله بول:

ـ وكيف ستتأكد من نجاح الزواج ثانية.

ـ لن أجزم كما لن تجزم أنت بشأن نجاح زواجك الأول. لكن خذ نصيحتي لك بول، حتى ولو أنني أعرف أنك لست بحاجة إليها... إذا كانت المرأة غير مطمئنة إلى حبك فستخسرها. نانسي كانت تغار من زوجتي الأولى... ولم

تستطع فهم حبي لامرأة أخرى قبلها... إذ يصعب جعل النساء تفهم أنك تحب كل واحدة منهن بشكل مختلف.

جاكلين... لم تكن واثقة من حب بول حتى... فساليا ويلبي ما تزال جزءاً من حياته. إنها فتاته التي هربت منه... وما من أحد يستطيع منافسة امرأة ميتة... وإن كانت زوجة.

سمعت بول يرد عليه:

ـ سأتذكر هذا... لكن قل لي، لماذا أحست جاكلين بواجب الزواج منك؟

ـ لم تكن مضطرة... على الأقل بالنسبة لي. لقد وضع والدها هذه الفكرة في رأسها، فلعبت الدور... فقد كانت بالنسبة لي زوجة مثالية.

فالتفت بول إليها:

ـ حسناً؟ ما رأيك؟

ـ لقد ظننت... أن والدي... أترى رالف... اوه... لم أعد أعرف شيئاً!

التفت بول إلى رالف:

ـ رالف؟

فتنهد:

ـ ظن فيليب واهماً أنني سأدمره إذا لم تتزوجني جاكلين.

ـ وهل كنت ستفعل؟

ـ لا... تباً! فنحن شريكان منذ مدة طويلة... اوه... ويجب أن تعرف... فأنت ستكون صهره... لقد كان يغمس اصابعه في مال الشركة. وعرفت بالأمر، طبعاً. لكنني أعرف

أيضاً أنه رجال أعمال قدير سيخرج من المسألة كما الشعرة من العجين. لم أفكر قط في الضغط عليه بشأن جاكلين.

ـ لكن هذا ما خطر بباله.

ـ هذا ما يبدو. لقد تحدثت جاكلين للمرة الأولى عن هذا الشأن عندما عادت من زيارة عمتها.

ـ زيارة عمتها؟ ومتى كان ذلك؟

فشحب وجه جاكلين:

ـ أنا...

فقاطعها رالف:

ـ منذ عدة أسابيع... ذهبت إلى هناك لتعيد النظر بحياتها. وعندما عادت، جاءتني بالفكرة السخيفة عن نيتي بتدمير أبيها يومها لم أجد الوقت مناسباً لإلغاء الزواج لأنني بذلك كنت سأتسبب بفضيحة فتركت الأمور على ما هي.

فردد نيل بسخرية لاذعة:

ـ عمتك يا جاكلين؟ أما كان عليك اختلاق عذر أنسب؟

فاحمرت وجنتاها:

ـ هو عذر اختلقه أبي.

ـ ثانية؟ يا إلهي، ذلك الرجل عليه الإجابة عن الكثير! سأكون سعيداً عندما نتزوج ونبتعد عن هذا كله!

فاتسعت عينا رالف:

ـ وهل ستغادران مونتريال؟

ـ في الغد... سنسافر إلى كويبك، ثم إلى الريف... إلى المكان الذي كانت فيه جاكلين أثناء غيابها.

فشهقت وبدا الحرج عليها وهي تنظر إلى رالف:

ـ بول!...

فسألها رالف بمرح:

ـ صحيح؟

ـ أجل.

ـ مع بول؟

ـ أنا...

فرد بول بحدة:

ـ أجل... معي!

عندها انفجر رالف بالضحك.

ـ هو يناسبك جاكلين وأنت تناسبينه أيضاً. فأبوها كان دائم التصرف بشؤون حياتها... وقد لاحظت مدى التغيير الذي أصابها بعد عودتها من تلك الغيبة.

عادت نانسي من المطبخ تحمل كوباً مليئاً بسائل أحمر.

ـ هاك يا حبيبي ستشعر بتحسن كبير بعدها.

كشّر رالف وجهه بعد الرشفة الأولى:

ـ اوغ... ما هذا؟

ـ لا تسأل... اشربه فقط. بعد عشر دقائق ستجد نفسك على قمة العالم... هيا... اشربه... كله...

أخذت الكوب الفارغ منه:

ـ والآن... هل فاتني سماع شيء مهم؟

فأجاب بول:

ـ فقط توضيح بعض الأمور الغامضة... والآن بشأن ذلك

منتديات إيلاف الثقافية

الزواج...

جلست نانسي على ذراع مقعد رالف وقاطعته بسرعة:

ـ ومتى ذلك؟ سنحب حضوره... أليس كذلك رالف؟

ـ لن أتخلى عن حضوره أبداً... لكن قبل هذا يجب أن نلغي موعد زفاف الأسبوع المقبل.

فقال بول مفكراً:

ـ ليس بالضرورة، لماذا لا تستخدمان الموعد نفسه لكما؟ لديك الوقت لاستخلاص الترخيص... وما عدا ذلك حاضر.

فلمعت عينا نانسي:

ـ تلك فكرة رائعة... ما رأيك رالف؟

ـ إنها تناسبني... لست أدري ما كان في هذا الكوب، لكنني بدأت أشعر بالتحسن.

فقال بول:

ـ عظيم فنحن بحاجة إليك عند الزفاف بعد الظهر... فأنت ونانسي ستكونان الشاهدين.

ـ اليوم! يا إلهي يا رجل... ما أسرعك في العمل! وماذا لو لم أكن مستعداً لتركها؟

فضحكت نانسي:

ـ ما أروع هذا الكلام!

تحركت جاكلين إلى جانب بول، وقالت بصوت مرتجف:

ـ إنه على حق... فأنا له.

فنصحتها نانسي:

ـ ابدئي حياتك معه كما يحلو لك جاكلين... ولا تتركيه

أبداً يطغى عليك... فأنا أعرف هذا الرجل المتوحش الذي... ستتزوجينه. إنه يحب أن يُطاع، لكنك لن تصلي إلى نتيجة بالخضوع له.

فابتسم بول:

ـ ثمة طرق مختلفة في الحياة نانسي... وجاكلين تعرف أنني ضعيف أمامها.

فسألت نانسي باهتمام:

ـ حقاً؟... أخبرني المزيد.

فضحك بول:

ـ هذا يخضع للرقابة... لكنني واثق من أن جاكلين ستعترف بأنني عندما أكون معها أغدو لا أملك شيئاً.

ـ حسناً... جاكلين... أصحيح هذا؟

فردت بحياء:

ـ سأبقى صامتة... بول، أظن أن علينا الذهاب لرؤية أبي الذي لن استطيع الزواج دون وجوده.

ـ سنكلمه معاً... ستتصل بكما عند الثالثة والنصف.

لم تكن دهشة هي ما أصابت والدها، بل صاعقة...

ـ تتزوجان؟ أنتما الاثنان ستتزوجان؟

فرد بول بعجرفة:

ـ أجل... ستتزوج... لقد أعفاها رالف بكل لطف من وعدها.

ـ أبي... كل شيء على ما يرام مع رالف... هو ونانسي سيتزوجان من جديد.

بدت هذه الصدمة أشدّ عليه من الأولى.

ـ هما سيتزوجان؟ وأنت ستتزوج ابنتي؟

ـ صحيح!

فنظر فيليب إلى ابنته:

ـ وأنت... أتريدين الزواج منه؟

ـ نعم أبي.

ـ إذن... أنا سعيد لكما... كل ما كنت أريده هو سعادتك جاكلين لم أعرف أنك تريدين الزواج من بول. وإلا لما حاولت التدخل... فقد اعتقدت أنها مع رالف لن تقلق بشأن مستقبلها فهو لا يخاطر مالياً كما أفعل أنا.

فقطبت جاكلين:

ـ أهذا هو السبب...؟

فتنهد:

ـ خسارتي الأخيرة جعلتني أفكر بفشلي، فأردت عندها أن اؤمن مستقبلك!

رمت جاكلين نفسها بين ذراعي والدها... تحسّ أن حبه غمرها... ذلك الحب الذي دفعه إلى اليأس. فقال بول بهدوء:

ـ أظنني قادر على منحها الأمان نفسه.

فأبعدها أبوها عنه قليلاً ثم قال:

ـ لقد كنت مخطئاً. وأظن الآن... أن الحب هو الأمان الوحيد الذي تحتاجه جاكلين... كل ما أطلبه منك أن تعتني بها وتحبها.

لكن الحب أمان، لم يقدمه لها بول بعد، لا قبل مراسم الزواج ولا بعده... تلك المراسم التي كانت قصيرة... سريعة... فقد مرت حفلة العشاء التي أصر والدها على إقامتها بسرعة كالحلم.

ثم... أصبحا وحيدين في شقته... فتصاعد توتر مفاجىء بينهما بعد أن وعت أنها وهبت نفسها لهذا الرجل إلى الأبد. في حين انه لم يقل لها مرة انه يحبها... ربما لا يحبها، ربما يرغب فيها فقط... لكن ما دام يريدها ويرغبها فهي قانعة راضية.

ـ جاكلين.

ارتجفت... فرفعت إليه عينين مذعورتين، فالوقت مضى سريعاً فهما جالسان هنا منذ ساعة يصغيان إلى الموسيقى... وحان الآن وقت النوم. وقت ذهابهما معاً إلى الفراش الزوجي.

سألته مذهولة:

ـ نعم؟

ـ جاكلين... لقد قيل لي اليوم مرتين إنني ما دمت أحبك فلن أخسرك. لكنك لم تسأليني قط عن مشاعري تجاهك. لقد اعترفت بحبك لي مع أنك لم تسأليني يوماً حباً بالمقابل.

لعقت شفتيها، ونظرت إليه والمدفأة تفصل بين مقعديهما كما كانت منذ عودتهما... أخيراً ردت عليه:

ـ الحب لا يُسأل أو يُطلب. فهو إما أن يكون أو لا يكون...

ـ أتعرفين لماذا لم أقل لك إنني أحبك؟

ـ لأنك لا تحبني... كما أعتقد!

ـ أبداً.

هبّ عن مقعده ثم اقترب منها مسرعاً فركع أمامها، ثم أمسك بيدها:

ـ لم أبح لك به لأنني أحبك حباً لا تصفه الكلمات. أتعلمين أن حياتي بدونك لا تساوي شيئاً، وانك عندما لا تكونين بجانبي تتوقف الشمس عن الشروق، وأنك عندما تركتني وحدي في الكوخ ظننتني سأموت. وأنني فعلاً مت حتى وجدتك ثانية. والآن بعد أن عرفت هذا كله... فاعلمي أنك إن تركتني مجدداً فسأتوقف عن الحياة.

ـ بول... تلك الأغنية...

ـ الفتاة التي هربت مني؟... إنها أنت... لذلك أردت الغاءها من برنامج الحفلة... فاظهار ما في قلبي أمام الجمهور شيء، وإظهاره أمام الحبيبة شيء آخر. خاصة وهي ترتدي خاتم خطوبة شخص آخر.

ـ لكنك قلت في أغنيتك إن تلك الفتاة لم يعد لها وجود.

فتنهد:

ـ تلك الفتاة في مونتريال لا تشبه الفتاة التي أحببتها في سكون الريف... لكنني في الحفلة التالية عرفت أنك لم تتغيري وأنك في أعماق نفسك ما زلت تحبينني.

ـ ظننت أن الأغنية لساليا.

ـ صحيح... ساليا... يجب أن نتكلم عنها.

جذبها عن الكرسي ليجلسا على السجادة أمام النار. فقالت

له هامسة وهي بين ذراعيه:

ـ ما أريد أن أعرفه فقط: هل أحببتها كما تحبني؟

فضحك بمرارة:

ـ الحب؟ أنا لم أحبها قط.

ـ لكن...

فكرر بحزم:

ـ قط... لم أحبها قط.

ـ لكنهم قالوا إنك كنت ستتزوجها.

ـ أعرف... لكنها كانت قد ماتت، فلماذا أزعج نفسي بالإنكار؟ سأتكلم عنها هذه المرة فقط... على أن لا أعود إلى ذكرها أبداً... مفهوم؟ كنت على علاقة معها دامت بضعة أشهر لكنني حين علمت أنها لا تستطيع قضاء يوم واحد دون مخدرات قررت تركها. فلم تعجبها الفكرة لذا راحت تلاحقني أينما حللت. فقررت التحدث معها لإنهاء الأمر... بعدها وافقت على أن أتركها تقود سيارتي خلال عودتي من حفلة غنائية... ووافقت على أن «تقود» هي السيارة.

ـ هل كانت تقود تلك الليلة؟

ـ هذا صحيح... لقد صور لها المخدر أن بإمكانها الطيران بتلك السيارة اللعينة. لا يمكن أن تتصوري كم كانت جميلة يا جاكلين... لكنها كانت مدللة فاسدة.

ـ كانت شابة كذلك!

ـ في السادسة والعشرين... بعد ذلك اختفيت في ذلك الكوخ، لا أفكر في ما سأفعله بحياتي. فوجدت السكينة هناك،

حيث الهواء نقي عليل والحياة هادئة، ووجدتك أيضاً هناك.

ـ لكنك بدوت تكرهني.

ـ أبداً... لم أستطع أن أكرهك حتى حين آمنت أنك مراسلة تتقصّين أخباري. لكن عندما اختفيت... يا إلهي!... لن أرغب أبداً في أن أحيا ثانية في ذلك الوقت الرهيب... بعد أن تركتني كتبت تلك الأغنية اللعينة...

فوضعت اصابعها على فمه:

ـ إنها جميلة... جميلة.

ـ عندما اتضح لي أنك لن تعودي، عدت إلى مونتريال لألاحق أمر حفلتي مع مدير أعمالي... ثم ظهرت ثانية لتحطمي راحة بالي... عندها قررت الاستحواذ عليك... بأية طريقة...

ووقف ماداً يده إليها:

ـ هل ستأتين الآن إلى الفراش؟

فوقفت رامية نفسها بين ذراعيه، مريحة رأسها على صدره حيث ضربات قلبه تتعالى كالطبل العميق في أذنها.

ـ قل لي إنك تحبني بول... قل مرة واحدة «أحبك جاكلين» ولن أطلب منك إعادتها ثانية.

ـ سأقولها ونحن في الفراش... سأقولها لك بكياني كله.

ـ بول أود أن أسعدك... لكنني لا أعرف كيف... علمني يا بول...

ـ ليس هذه المرة يا حبي... فأنا لم أعد أطيق الانتظار.

وضاعت الكلمات... وبطء غلبهما النوم بين ذراعي

بعضهما.

استيقظا في الصباح التالي على صوت رنين جرس الباب، فجلس بول وقد طار النعاس من عينيه:

ـ من الزائر في مثل هذه الساعة؟ إنّها لا تتجاوز الثامنة والنصف. لا تتحركي... سأعود حالاً.

ووقف متذمراً ليرتدي روبه:

ـ بعض الناس لا يعرفون أنني كنت سأمضي النهار كله في الفراش مع زوجتي.

واستلقت بعد خروجه على ظهرها تفكر فيه... لكن ما هذا الصوت...؟ يا إلهي... لقد نسيا كل شيء عن ابليس... أهو تحت السرير الآن؟

خرجت من الفراش تبحث عنه تحت السرير. لكنها لم تشاهد شيئاً فالعتمة جعلت من المستحيل رؤية فروه الأسود، بعد قليل لاحظت لمعان عينيه... أغمضهما وفتحهما بشكل متعاقب... فاطمأنت انه على الأقل ما يزال حياً. يجب أن يأخذاه إلى بيطري اليوم، فهو دون شك مصاب بشيء خطير.

ابتسم بول عندما عاد ليجدها واقفة قرب السرير فاحتواها بين ذراعيه متمتماً:

ـ ما أجملك!

ـ من الطارق بول؟

ـ مراسلان... قررا أخيراً تأليف قصة عن إقامتنا معاً... وقد أثار اهتمامهما معرفتهما بأننا تزوجنا لذلك ذهبا سعيدين... والآن... بشأن جعلي سعيداً؟

ـ لن استطيع الآن... والسبب ابليس... أنا قلقة عليه.

فقطب:

ـ يا إلهي! لقد نسيته... أما زال تحت السرير؟

ـ يجب أن نضيء مصباحاً يدوياً لنرى إن كان بخير.

ـ هل أنت حقاً قلقة عليه؟

ـ حقاً... قد يكون مريضاً. فهناك أصوات غريبة تصدر من تحت السرير.

ـ حسناً.

ذهب إلى المطبخ وعاد يحمل مصباحاً يدوياً، انحنى تحت السرير:

ـ ابليس... تعال يا ولد... دعنا... تباً! يا إلهي!

على الفور ركعت جاكلين إلى جانبه صائحة:

ـ ما الأمر؟ ماذا به؟

فجلس:

ـ لا أصدق...

ـ ماذا؟ أخبرني بول!

أعطاها المصباح.

ـ انظري بنفسك. لا أظن أننا ستتمكن من السفر إلى أي مكان في وقت قريب.

فشحب وجه جاكلين...

ـ ما به؟

ـ انظري بنفسك... هيا جاكلين. انظري بنفسك.

وانفجر ضاحكاً... ونظرت... موجهة شعاع المصباح

إلى الزاوية حيث تعرف إنه مكان ابليس. فوجدت قربه ثلاث قطط صغيرة. اثنتين سوداوين وأخرى سوداء وبيضاء. يبدو أن عمرها لا يتجاوز الساعات.

فجلست جاكلين مذهولة:

ـ لكن... أنا... إنه... هو...

فضحك بول:

ـ هي... إنه... هي. لا عجب أنه... أنها كانت تتصرف بغرابة مؤخراً... يا إلهي... «ابليس انثى»!

وانفجر ضاحكاً مقهقهاً، فأعادت جاكلين النظر ثانية إلى الأم الحاضنة وقططها الصغيرة... ثم ابتسمت حالمة:

ـ أليست جميلة؟ بول... أنستطيع...

ـ أجل... سنبقي عليها جميعاً. وعندها سيكون لكل طفل ننجبه قطة.

ـ ثلاثة فقط؟ لكنك قلت نصف دزينة؟

ـ مم... ولمَ لا؟

ـ أعتقد أن علينا أن نغير اسمها... لا استطيع التفكير بانثى اسمها ابليس... أتظن...

فحملها بول إلى الفراش وهو يزجرها:

ـ اصمتي يا امرأة... لدينا عمل نقوم به... فإنجاب نصف دزينة من الأطفال ليس بالأمر السهل... لكن سيكون لدينا وقت طويل لإنجاز العمل.

فردت بخجل:

ـ أحبك.
ـ هذا هو الكلام الذي أحبه.
مرة أخرى ضاعت الكلمات...

• • •

فراشة المحبة
www.liilas.com